العولمـة وأزمـة الثقافـة المحلية

دراســـة تحليليـــة

دكتـــــور / وسيـــم نـــادي ميخائيـــل

أستاذ علم الاجتماع المساعد

كلية الآداب

جامعة بورسعيد

أهمية موضوع الدراسة: -

أصبحت العولمة من القوي المؤثرة في حياة الشعوب والمجتمعات المعاصرة وقد تزامن ظهورها مع بروز مجموعة من التطورات العلمية والتكنولوجية التي تزيد من تقارب العالم لقد أخذت العولمة تتغلغل بقوة إلى كل المجتمعات والثقافات وتربط كل حدود العالم القريبة والبعيدة. وتستمد هذه الظاهرة حيويتها من التطورات في وسائل الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات ومن الثورة العلمية والتكنولوجية الراهنة التي تقود الطريق إلي المستقبل. كل ذلك أدي الي ربط أجزاء العالم بعضه ببعض وتحويله إلى قرية كونية صغيرة لتبدأ العولمة بذلك عهداً جديداً في تاريخ البشرية من حيث تدفق التغيرات والتحولات في كل المجالات الحياتية.

ومها كانت حقيقة وطبيعية العولمة فإن هذه الظاهرة مليئة بالفرص والمخاطر ففرص العولمة كثيرة ومتنوعة وبالإمكان إستغلالها لتحقيق أهداف وطنية وغايات إنسانية. فالعولمة تحمل معها فرصاً معرفية هائلة مصاحبة للثورة العلمية والتطورات في وسائل الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات التي وضعت البشرية اليوم أمام أفاق معرفية لا نهائية. والعولمة تتضمن أيضاً فرصاً إستثمارية ضخمة ومرتبطة أساساً بالتطورات المتسارعه في بنية الأقتصاد العالمي وإتجاهاته الجديدة نحو فتح الأسواق المالية والتجارية وتقليل القيود على حركة المال والسلع والخدمات والمعلومات.

ولكن بجانب الفرص فإن العولمة تحمل في طياتها مخاطر عديدة متنوعة وتتفاوت بين المخاطر السياسية والثقافية والاقتصادية. وترتبط المخاطر السياسية بمحاولات الولايات المتحدة الامريكية القوي العظمي الوحيدة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة لأمركة العالم والأنفراد بالشأن العالمي وإدارته إدارة أحادية بما يتناسب مع مصالحها وغايتها. أما المخاطر الثقافية فإنها تتضمن إحتمالات تهميش الثقافات المحلية وتهديد الخصوصيات الحضارية من خلال هيمنة الثقافة

الإستهلاكية التي أخذت تنتشر على الصعيد العالمي متسلحة بآخر المستجدات الدعائية والاعلانية.

أما المخاطر الأقتصادية فإنها تأخذ شكل التراكم الشديد للثروات وبالتالي زيادة حدة الفجوه بين الدول الغنية التي تزداد غني وتقدماً وهيمنة والدول الفقيرة التي تزداد فقراً وتخلفاً وتبعيه للنظام الرأسمالي العالمي. ونتيجة لشدة تداخل الفرص والمخاطر فانه لا يمكن إختزال العولمة في المخاطردون الفرص او في الفرص دون المخاطر. ولا يمكن تجاهل إيجابيات العولمة كما لا يمكن استبعاد سلبياتها. (١)

لذا كان من المهم تقييم العولمة تقييماً متوازناً بكل إيجابياتها وسلبياتها ودون اتخاذ مواقف عقائدية مسبقة او إطلاق احكام قيمية جاهزة تعبر عن افتراضات وقناعات هي أقرب إلى الأوهام البعيدة كل البعد عن حقيقة ما يجرى فى العالم من تحولات حضارية عميقة. وخاصة نحن نعيش عالماًجديداً بمعاييره المستحدثة تسوده النزعة الدارونية حيث البقاء للأصلح والأقوى والأعلم.

والدراسة الراهنة تتناول العولمة فى توجهاتها الليبرالية الجديدة وهيمنة القطب الواحد وتحاول ان تكشف من اطروحاتها وحقيقتها وقناعاتها حيث طرحت العولمة تحديات اقتصادية واجتماعية وثقافية ضاغطةوفرضت قواعد وقيم واخلاقيات مرتبطة بمنظماتها الكلية سواء فى مفاهيم سيادة الدولة الوطنية او توجهات السلطة والقيادة وتنظيم المؤسسات واتخاذ القرار وآليات السوق وتحكم تقنيات تكنولوجيا المعلومات إلي أخر تلك القائمة من المتغيرات التي تتمحور حول هيمنة الدولة الكبري في العالم علي مصائر شعوب الارض وإضعاف سلطة الدولة الوطنية وقدراتها الذاتية علي متابعة الاصلاح إنطلاقاً من معطياتها وارادتها الوطنية في الديمقراطية والحريه والعدالة الأجتماعية .

وإذا كان جوهر العولمة يكمن في تبني سياسات الأقتصاد الحر والسوق الطليقة غير أن ما يترتب علي مجمل حصادها حتي في بعض آثارها العلمية

والتكنولوجية كان سلبياً علي أوضاع الدول النامية بما أفرزته من أزمات أقتصادية وسياسية وعسكرية وأخلاقية وأرتباطها بإتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء ومظاهر الأستبعاد الأجتماعي إزدياد الفقر المادي والمعنوي لدي شرائح كثيرة من السكان وصاحبها كذلك ما عرف بإسم الأقتصاد الإجرامي في غسيل الأموال والفساد الأخلاقي والجشع المادي وأحاط ذلك كله محاولة تشكيل الثقافات المتعددة وخصائصها المميزة إلي ثقافة واحدة لإلغاء التنوع والخصوصيات الثقافية والأتجاه نحو ثقافة الأستهلاك والقيمة المادية للحياة بحيث أصبحت الحياة ذاتها سلعة في كثير من مظاهرها ولا شك في أن تأثير الفضاء المفتوح لكل الرسائل التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية وما تبثه من برامج معلوماتية وترويحية وما تقدمه من نماذج وصور ذات صبغة سياسية قد ادى عن طريق تشربها واستدخالها فى الوعى واللا وعى لدى المتلقى إلى تكوين قيم مضطربة وخطاب سياسى متحيز وتوجهات تهدد مقومات المواطنة وقيمها وما ارتبط بها من مفاهيم الحق والواجب والنافع والفاسد .لقد كانت رسائل المعلوماتية بكل مصادرها وأنواعها وسائط لمعارك ثقافية ،وهى معارك بين الوطنية والقومية من ناحية وبين عالم بلا هوية من ناحية اخرى . (٢)

وإذا كان فرانسيس فوكوياما المبشر بنهاية التاريخ وتطوره يري أن نموذج الليبرالية الجديدة ورأسماليتها الأمريكية تعتبر أفضل ما إنتهي اليه التاريخ البشري من مراحل الحضارة العالمية متخذاً من القوي الأقتصادية عاملاً في السيطرة علي العالم ، فإن صموئيل هنتجتونيفترض حلول الصراع الحضاري واستمراره مكان الصراع الأقتصادي والأيديولوجي وينتهي هذا الصراع الحضاري في نظره بإنحصاره في النهاية بين الحضارة الغربية والحضارتين الإسلامية والصينية البوذية ، وهو بذلك يتخذ من الدين عاملاً حاسماً في انقسام العالم علي إعتبار ان الخلافات الأخري ثانوية وغير مؤثرة في الإنتماء الحضاري. (٣)

وأياً ما كانت الفروض أوالتصورات التي يعج بها الفكر العولمي إلا أن محصلة هذا الفكر العولمي الأمريكي تتلخص في سعي العولمة إلى تشكيل عالم

وسوق واحده وقيم وهيمنة واحدة لسيد واحد وهو الولايات المتحدة الامريكية وهذا يتضمن فرض وتعميم نمط ثقافي محدد يشمل أفراد كوكب الأرض وتظلله نظم إقتصادية وسياسية موحدة إلي أقصي حد ممكن الهدف منه تقديم محاولة معاصرة لصياغة وعي كوني زائف الغرض منه إثبات أن الرأسمالية ستكون هي ديانة الإنسانية إلي أبد الآبدين. (٤)

إن التنميط الثقافي الذي تنشد العولمة نشره يحتوي علي أنماط ثقافية محددة مثل ثقافة السوق والاقتصاد الحر، وتأكل دور الدولة وسيادتها الوطنية ، القريه الكونية الواحدة وإنهيار الحواجز والحدود بين الدول ، ثقافة البيزنس ، ثقافة كل شئ للبيع حتي الإنسان نفسه . ولعل الهدف من فرض هذه الثقافة العولمية هو تكوين النموذج العالمي للشخصية الإنسانية منفصلة عن جذورها وثقافتها المحلية ومرجعياتها الحضارية ، وتهميش مشاركتها في هموم وطنها وفي تنمية موارده تنمية ذاتية ، مما يتيح للغرب تغلغل هيمنته في جوهر ثقافات الدول النامية ليستدخل ثقافته وينفذ إلي عقول مواطنيها وأفضليتهم الحياتية موظفاً إنفتاح أسواقها لمنتجاته الحضارية دون قيد ، وليبث رسائله الإعلانية وقيمه ورموزه الثقافية فضلاً عن تأكيد الأستعلاء المطلق لأساليب حياته بإعتبارها الطريق الوحيد إلي الرفاهيه والجنه المفقودة .

إن ثقافة التنميط التى تسعى مؤسسات العولمة الأمريكية لفرضها على شعوب العالم الثالث وكأنها مخطط أو استراتيجية محددة تم تخطيطها وتنفيذها بوعي بهدف فرض قيم وثقافة المجتمع الامريكي على القيم والثقافات الأخري في العالم وذلك للقضاء على الخصوصيات الحضارية وانتزاع الهويات الثقافية والغاء التنوع الثقافي بين الشعوب والمجتمعات.

من هنا تظهر أهمية موضوع الدراسة حيث ان دراسة تأثير العولمة علي الثقافة المحلية تصبح من الأهمية في أي معالجة لصيرورة العولمة ، لأن الشعوب والمجتمعات أصبحت أكثر حاجه في عصر العولمة للبحث عن مواصفات تؤكد

إختلافها وتمايزها بقصد تكوين علاقة واضحة بين الانا والآخر ، ويتأكد هذا في الحفاظ علي الهوية الثقافية لها لمواجهة تسارع التحولات التي يعيشها العالم اليوم الذي تحول الي قرية كونية صغيرة مع التقارب وتهاوي الحدود بسبب تعاظم دور التكنولوجيا في الاتصالات والمواصلات وحركة العمليات التجارية التي تمثلها الشركات العابرة القومية، وانتشار أنماط سلوكية وقيم ذات مرجعية غربية. كل هذا يجعل الكثير من المجتمعات تبحث عن وسائل لإستيعاب واقع العولمة دون تقديم تنازلات كبيرة في تراثها الثقافي ، وهذا يتطلب ضرورة عدم التعامل بنظريه القطبية أو المواجهه بين العولمة والهويه الثقافية أو انهما يسيران في خطين متوازيين مع إحتمالات الصدام أو الصراع عند حدوث التلاقي أو التقاطع بينهما ، لأن نسبية الثقافة تجعلها مرنة في التعايش مع الثقافات الأخري والأقتباس منها حيث تساعدها عوامل التقارب وسقوط الحواجز علي التفاعل الإيجابي والخلاق معها دون حدوث هذا التصادم أو تقديم تنازلات منها أو تغيير في هويتها ومرجعياتها . (٥)

هدف الدراسة: -

تركز الدراسة الراهنة في رصدها لظاهرة العولمة على الجانب الثقافي فيها لموازنة سيادة الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية على ظاهرة العولمة وذلك بتقديم إضاءة أوسع وأعمق لتجلياتها ومظاهرها وتأثيراتها علي الثقافة المحلية وخاصة أن هناك جدل واسع ونقاش كثيف حول عولمة الثقافة حيث تبرز تيارات كثيرة تصل إلى حدود متطرفة في الرفض أو القبول حول إمكانية حدوث هذا.

ومن ثم فإن الهدف الرئيسي للدراسة هو بحث العلاقة بين العولمة والثقافة المحلية وأشكال التفاعل بينهما قبولاً أو رفضاً، توفيقاً أو تكييفاً أو تعديلاً ودراسة التأثيرات أوالأزمات الناتجة من فرض الثقافة العلمية وأنماطها على الثقافة المحلية وكيفية مواجهتها.

مشكلة الدراسة: -

ساد خلال السنوات الأخيرة خطاب تبشيري يروج للعولمة ومزاياها وقدرتها على تعميم الرخاء والمساواة بين البشر في الاستفادة من أحدث إنجازات العلم والتكنولوجيا من خلال ضغط المسافات وتقريب البعيد بحيث تضيق الفروق بين الشمال والجنوب وبين الفقراء والأغنياء في إطار ما يسمى بالقرية الكونية ، ورغم أن هناك إنجازات لا يمكن إنكارها في مجال ثورة الاتصالات والمعلومات مثل الحاسبات والإنترنت وثورة الإلكترونيات الدقيقة إلا أن هذا التقدم في جانب التكنولوجيا والمعلوماتية لا يوازيه أي تقدم في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . لذا نجد أن خطاب العولمة السائد يحاول أن يركز على الجوانب المشرقة والمضيئة على صعيد الإنجازات التكنولوجية ويحاول تجاهل أو طمس الفروق والتناقضات فى مجال التطورات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية فى ظل العولمة. (٦)

ومن ثم فإن هذا الخطاب العولمى يدعو إلى تسويق وترويج العولمة بأعتبارها طوق النجاة وطريق المستقبل لكل بلدان العالم على إختلاف مستويات تطورها ونموها ، وكذلك التمجيد لآليات العولمة ، كما أنه يحوى فى ثناياه التهديد والوعيد لكل من يقاوم أو يخرج عن دائرة العولمة . إلا أن هذا الخطاب يحوي من الاطروحات ما يدعو البعض إلى تصور أنه يتضمن تهديداً للثقافة المحلية وتلويحاً بالإطاحة بالعديد من المرجعيات الثقافية التى تعين المجتمع في وجوده الحضاري. ورغم حدة ملابسات هذه الإشكالية في طرحها لمعطيات الخصوصية والعولمة فى الثقافة المحلية التى قد تصل إلى حالة أقصى من فرض الثقافة الوافدة وهو ما يعبر عنه مفهوم الغزو الثقافى أو الاستتباع الثقافى وهى مفاهيم تُبنى على إستعارة البيئة الإجتماعية الأضعف لأولويات ومعايير البنية الإجتماعية المهيمنة وتستند فيها الثقافة الغازية إلى آليات وقوى خارجية تهدف إلى طمس وتذويب الثقافة الأصلية ، أو حالة أقصى من التطرف فى العزلة والإبتعاد عن قوى العولمة وعدم التفاعل مع

آلياتها من أجل الحفاظ على الهوية القومية وتدعيم الخصوصية الثقافية للجماعة الوطنية .

من هنا يسعى الباحث عبر معاينة هذه المعطيات إلى الوقوف على وقائع وتداعيات هذه الإشكالية بقصد فهم حيثياتها وإستجلاء مأزمها وتوجهاتها فى الحاضر والمستقبل خاصة وأن سؤال الخصوصية الثقافية والعولمة قد تم طرحه فى المجتمع المصرى بصياغات مختلفة فعلى حين كانت تحديات هذا السؤال فى القرن الماضى تنحصر إما فى كيفية اللحاق بالتقدم الذى أنجزته المجتمعات الغربية أو فى كيفية الحفاظ على الهوية الثقافية الوطنية بما تحمله من نواة ثابتة وعناصر متحركة إلا أنه في بدايات القرن الحالى أصبح يتناول الآن هذين الإتجاهين معاً بل والتأليف والتوفيق بينهما كل هذا جعل الإنسان فى مجتمعنا يعايش عالمين متناقضين من خلال ثقافتين غير متكافئتين ثقافته المحلية المفعمة بالقيم التراثية ، وثقافة عولمية مفعمة بالقيم المادية العصرية والفردية تقتحم حياته وتفرض عليه من خلال تقنيات وسائل الإتصال الحديثة.

فى ظل هذا يتعرض الإنسان فى مجتمعنا للصراع بين هاتين الثقافتين التى تحاول كل منهما أثبات ذاتها ويحاول الإنسان جاهداً المواءمة بينهما والتوفيق بين رواسب ثقافته التراثية وبين عصرية ثقافة العولمة ومن ثم تتمثل مشكلة الدراسة فى الكشف عن أزمة الثقافة المحلية والتى تبدو فى مدى أمكانية احتفاظها برموزها وهويتها الوطنية إزاء النظام العولمى الجديد ومحافظتها على قيمها الأصلية أمام زحف الثقافة الكوكبية بأنماطها وتقنياتها الحديثة ومنتجاتها الإستهلاكية ، وكيفية مواجهتها ومقاومتها لكل المساعى الرامية إلى أمركتها ، وتحديد مدى أمكانية أن تتعايش الثقافة المحلية الوطنية مع الثقافة الكونية تقتبس منها ما يفيدها ويعمل على تطويرها وإعادة تشكيلها لتتكيف مع الحاضر وتكتسب سمات جديدة قادرة علي إستيعاب متغيرات العصر بكفاءة واقتدار بما يجعلها قادرة على الإشعاع على الثقافات الأخرى ، تتفاعل معها بما لا يتعارض مع خصوصيتها الحضارية دون

تقديم تنازلات كبيرة فى ميراثها الثقافى ومنظومتها القيمية وذلك من خلال تكوين إطار ثقافى ذي مضمون وطني يؤمن بأهمية العلم كمكون عضوى أصيل فيه ويرتكز على تقدمه المأمول فى حل مشكلات الحاضر والمستقبل لأنه ضرورة حيوية لأى مجتمع يود أن يكون له مكان على خريطة العالم فى القرن الحادى والعشرين .

تساؤلات الدراسة: -

طرحت الدراسة مجموعة من التساؤلات على النحو التالي وسوف تحاول الإجابة عليها: -

١ – هل النظام العالمي الذي تقدمه مؤسسات العولمة جديد أم هو شكل آخر من تراكم إفرازات الرأسمالية الغربية فى الهيمنة والتسلط على العالم النامى وفرض أنماط ثقافته عليه؟

٢ – هل تؤدى العولمة إلى تهميش الثقافة المحلية وتهديد منظومة القيم المجتمعية الأصيلة فيها؟

٣ – كيف يمكن أن تواجه الثقافة المحلية ثقافة العولمة وتحدياتها؟

مفاهيم الدراسة: -

مفهوم العولمة: -

يري أحمد مجدي حجازي أن العولمة هي عملية تاريخية تحكم تفاعلاتها مجموعه من القيم لدول عظمي في النظام العالمي من أبرزها الولايات المتحدة الأمريكية التي تسعي بكل الوسائل إلي تسيير نموذجها الحضاري في الأقتصاد حيث آلية السوق وحرية التجارة هي المبادئ الأساسية، وفي السياسة حيث تبرز شعارات الديمقراطية وحقوق الإنسان، وفي الثقافة حيث يتم التركيز علي الفردية وحرية الانسان. (٧)

ويشير السيد يسين أن العولمة تمثل حقبة تاريخية وقد شهدت هذه الحقبه صعود نهج لسوق ليبرالي جديد للإدارة الأقتصادية علي حساب السياسات الكينزية

(نسبة إلي الأقتصادي الإنجليزي كينز) وتطبيق مبدأ حرية التجارة وفتح الحدود بين الدول وهي تجل لظواهر أقتصادية تتضمن تحرير الأسواق وخصخصة الأصول وإنسحاب الدولة من أداء بعض وظائفها وخصوصاً في مجال الرعاية الأجتماعية ونشر التكنولوجيا ، والتوزيع العابر للقارات للإنتاج المصنع من خلال الأستثمار الأجنبي المباشر والتكامل بين الأسواق الرأسمالية وهي في الوقت الراهن تمثل هيمنة للقيم الأمريكية حيث تم التركيز علي سمو القدرات التكنولوجية الأمريكية وتفوق المؤسسات والنظم الأمريكية كما تمثل ثورة تكنولوجية وإجتماعية حيث تم ضغط الفضاء السياسي بين الدول وتقليص المسافات بينها وأدي إلي ظهور الأقتصاد الذي يقوم علي تلاحم الشبكات الإلكترونية وتدعيم السوق الكونية بتطبيق سياسات مالية وتكنولوجية وإقتصادية شتي .(٨)

أما حسنين توفيق إبراهيم فيري أن العولمة هي مرحلة تاريخية في تطور العالم جوهرها وجود مجموعة من الظواهر والمستجدات ذات الطابع الإعلامي والمعلوماتي والأقتصادي والسياسي والثقافي العابرة لحدود الدول والتي تؤدي إلى مزيد من الترابط والتداخل والتأثير والتأثر بين دول العالم. وهكذا فإن العولمة تعني ببساطة تراجع دور الحدود كحواجز بين الدول حيث أن الظواهر المعولمة تتخذ من العالم مجالاً لها. (٩)

ويعرف مالكوم واترز العولمة بأنها كل التطورات والتغيرات التي تهدف إلي دمج سكان العالم وتوحيده في مجتمع عالمي واحد. (١٠)

في حين يشير عبد الخالق عبدالله أن هناك أكثر من عولمة واحدة فهناك العولمة الاقتصادية التي تشير إلي بروز عالم بلا حدود اقتصادية حيث أصبح النشاط الاقتصادي يتم علي الصعيد العالمي وعبر شركات عابرة للقارات والتي لا يخضع نشاطاتها للرقابة الحدودية التقليدية وتدير جميع عملياتها الإنتاجية بمعزل عن الدول ثم هناك العولمة الثقافية التي تشير إلي بروز عالم بلا حدود ثقافية حيث تنتقل الأفكار والمعلومات والأخبار والاتجاهات القيمية بحرية كاملة علي الصعيد

العالمي وباقل قدر من التدخل من قبل الدول ثم هناك العولمة السياسية والتي تشير إلي تراجع أهمية الدولة وبروز مراكز جديدة للقرار السياسي العالمي في الوقت الذي تتجه فيه الدول للتخلي الطوعي أو الاضطراري عن مظاهر السيادة التقليدية(١١)

ويري الباحث أن التعريفات السابقة تتصور أن العولمة هي بروز عالم بلا حدود. وهذا يعني بروز مجتمع عالمي بثقافة واحدة وحكومة عالمية واحدة وهذا يصعب تحقيقه لوجود الهوية القومية والخصوصية الثقافية لكل مجتمع والقيم الخاصة به كما إن العالم لازال متمسكاً كل التمسك بالحدود بما في ذلك الحدود الجغرافية وحتى الحدود السياسية التي تتجسد في شكل الدول التي تحاول أن تؤكد انها مازالت الوحدة الارتكازية في العالم المعاصر.

ومن ثم يمكن للباحث أن يعرف العولمة بأنها تلك الظاهرة التي تشير إلى مجموعة التغيرات والتطورات الأقتصادية والسياسية والثقافية والتي تحكم تفاعلاتها حرية التجارة وآلية السوق وحرية حركة رأس المال وإنتقال المعلومات والأفكار والأتجاهات والقيم عبر وسائل الأتصالات وتقنيات التكنولوجيا الحديثة وبروز هيمنة القيم الأمريكية ومراكز جديدة للقرار السياسي والاقتصادي العالمي وتمتد تأثيراتها لتشمل مختلف دول العالم بدرجات متفاوتة طبقاً لنمط الثقافة المحلية وتفاعلها معها وقدرات الدول على التعامل مع تلك الظاهرة.

مفهوم الثقافة: -

يري حامد عمار أن منظور الثقافة يتضمن القيم والغايات والمعاني والرموز والتوجهات ومسارات التواصل والحقوق والواجبات والتطلعات والخيارات المحددة لحياة الإنسان في مجتمعه وتعد من أهم الخصائص التي يتميز بها البشر عن سائر الكائنات التي لا تتسم بهذه المكونات والفواعل في حياتها.

لذا يمثل مكون الغايات والقيم والمعاني الثقافية اساساً لفاعلية كل جهد في الحياة الإنسانية حيث أن الإنسان يسعي دائماً إلى أن يُكون لكل ما يفكر فيه وكل ما

ينتجه ويفعله ويعايشه دلالة ومغزي وهدفاً ومبرراً. وعالم هذا المكون الثقافي يعطي معني للوجود الإنساني يحقق الفرد من خلاله درایاته في كيف ينتمي ويتعامل مع ظواهر الطبيعة ومع الأرض والمكان ومع غيرة من البشر ومع وسائل التواصل اللغوي والفني والمادي والاجتماعي والمؤسسي في مجتمعه. (١٢)

ويعرف معن زيادة الثقافة بإنها الإجابة عبر الرموز عن كل ما يواجه المجتمع من تساؤلات حول ماضيه وعلاقتة به وحاضره وموقفه منه ومستقبله ونظرته اليه وآماله وطموحاته، ومجموع هذه الإجابات يشكل كلا حياً متطور يسمي ثقافة. (١٣)

في حين يشير كل من ميكل تومبسون وريتشار إليسوارون فيلدا فسكي أن الثقافة تمثل في نظرهم ثلاثة عناصر هي التحيزات الثقافية والعلاقات الإجتماعية وأنماط أو أساليب الحياة . هذه العناصر مرتبطة بعضها بالبعض في الكل المركب للثقافة، فالتحيزات الثقافية تشتمل على القيم والمعتقدات المشتركة بين الناس. والعلاقات الإجتماعية تشمل العلاقات الشخصيه التي تربط الناس بعضهم بالبعض الأخر . أما نمط الحياة فهو الناتج الكلي المركب من الإنحيازات الثقافية والعلاقات الإجتماعية حيث تتفاعل كل منها مع الأخرى وتقوم بينهما علاقات تبادلية ويولد ذلك طريقة متميزة في النظر إلي العالم . (١٤)

أما حيدر إبراهيم فيري أن الثقافه خاصة ومتعددة في الوقت نفسه لأن الإنسان لابد أن يوجد في إقليم معين ووسط جماعه محددة وبالتالي تتعدد وتتنوع أشكال الإستجابة والتفاعلات مع البيئة الطبيعية وما يتبع ذلك من إبداع ويقصد بالإبداع الثقافة نفسها . ومن ثم يعرف الثقافة بإنها كل ما يبدعه أو ينتجه الإنسان بيده أو جسمه أو عقله مثل الصناعة والعمل والتفكير والتأمل . فالثقافة هي ذلك الكل المركب الذي ينتجه الإنسان ويشتمل علي المادي وغير المادي . (١٥)

وفي هذا الصدد يذهب راسل جاكوبي إلى انه حين تعرف الثقافه بانها نظام من الأدوات والقوانين والطقوس ومظاهر السلوك يصبح لكل ناس بل لكل جماعة ،

بل لكل جماعة فرعية ثقافة . فلم تعد الثقافة منظومة أو نظاماً من الأنشطه لدي الناس بل أن أي نشاط لأي جماعة يمكن أن يشكل ثقافة أو ثقافة فرعية. (١٦)

ولهذا يري جاكوبي أن إستخدام تعبيرات مثل التعدد الثقافي أو الثقافات المتعددة أو التنوع الثقافي لا تعني حياة مختلفة بل تعني إسلوباً مختلفاً للحياة في المجتمع. (١٧)

من العرض السابق يتضح أن هناك اتجاهان في تلك التعريفات يتنافسان علي التفوق أحدهما ينظر للثقافة علي إنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز والإيديولوجيا وغيرها من المنتجات العقلية. أما الأتجاه الأخر فيربط الثقافة بنمط الحياة الكلي لمجتمع ما والعلاقات التي تربط بين أفراده وتوجهات هؤلاء الأفراد في حياتهم.

ومن ثم يعرف الباحث الثقافة المحلية بإنها نمط أو طريقة حياة مجتمع ما من المجتمعات وتشتمل علي مجموعة من القيم والأخلاق المستقرة فيه والمعارف والفنون وأنماط السلوك المكتسبة وكافة مظاهر الحياة الإجتماعية ، وهي التعبير عن خصوصية هذا المجتمع في رؤيته للعالم والكون عبر مجموعة من الرموز وطريقتة الخاصة في تجسيد حاضره وتخليد ماضيه ورسم آماله ومستقبله وبحثه عن مدلولات جديدة لنظم حياته وإعادة النظر في منجزاته من أجل مستقبل أفضل لأفراده .

الاتجاهات النظرية في دراسة الثقافة

١ -نظرية ماكس فيبر: -

يذهب فيبر إلى أن الرأسمالية الغربية الحديثة تمثل ظاهرة فريدة حيث تنحصر خصائصها الأساسية فى المشروع الإقتصادى القائم على التنظيم العقلي والذي يدار على أسس علمية والثروة الخاصة والإنتاج للسوق من اجل الربح

والكفاءة في العمل. ومن ثم تحققت للرأسمالية الحديثة خصائص جعلتها مختلفة عن رأسمالية العصور القديمة والوسطى. (١٨)

ويرى فيبر أن التنظيم الرأسمالى الحديث لا يوجد إلا فى مجتمع تنتشر فيه ثقافة وقيم ذات إتجاهات عملية خاصة ولكن كيف أنبثق هذا النموذج الإقتصادى؟ يجيب فيبر على ذلك بأن الرأسمالية الحديثة قد نشأت من خلال ثقافة العقيدة البروتستانتيه وقيمها الاقتصادية، فروح الرأسمالية هى نفسها روح العقيدة البروتستانتية بما تتضمنه من سلوك وأخلاقيات عملية. (١٩)

وهكذا يكشف ماكس فيبر عن وجود أرتباط بين نمو الرأسمالية الحديثة والثقافة الدينية البروتستانتية . وقد أكد فيبر ان الرأسمالية الحديثة لم تظهر نتيجة لضرورة إقتصادية داخلية ، بل ظهرت عن طريق الدفع الذى مارسته قوى الثقافة الدينية البروتستانتية وخاصة المذهب الكالفنى . وإن غايات الفعل فى الثقافة البروتستانتية توجه المؤمنين إلى أتباع سلوك يتفق مع الروح الرأسمالية الحديثة . فالقيم الإقتصادية قد وجدت فى نطاق الثقافة البروتستانتية وقيمها العملية . (٢٠)

وقد سعى فيبر إلى تأييد استنتاجه من خلال تحليل تاريخ بعض الدول البروتستانتية ، فمنذ عصر الإصلاح كانت الدول الرائدة إقتصادياً هى تلك التى تسودها الثقافة البروتستانتية مثل هولندا وإنجلترا وامريكا بينما ظلت الدول التى تسودها الثقافة الكاثوليكية أو غير البروتستانتية متخلفة نسبياً ، وقد أرجع ماكس فيبر تفسير ذلك إلى أن الأراء الدينية للمصلحين البروتستانت مثل جون كالفن ومارتن لوثر أكدت على إستقلال الفرد وبذل أقصى جهده فى العمل وأظهرت نمطاً جديداً للشخصية أثرت فى أتجاهات العمال وأصحاب العمل وأدت فى النهاية إلى ظهور الرأسمالية الصناعية الحديثة . (٢١)

وهكذا يؤكد فيبر أن التغير فى الثقافة والقيم قد سبق ظهور الإسلوب الرأسمالي الحديث فى الإنتاج. وبذلك تكون الرأسمالية الحديثة قد ظهرت فى ظل إتجاهات ثقافية جديدة سيطرت على الناس وغيرت طريقتهم فى الحياة.

وقد ميز ماكس فيبر بين النظم السياسية وانماط السلطة على أساس الثقافة السائدة وأتخذ من النسق الثقافى السائد أساساً للتصنيف بين ثلاثة أنماط من السلطة الشرعية والنظم السياسية فيرى أن هناك سلطة تقوم على أساس ثقافة عقلية رشيدة مصدرها الأعتقاد فى قيم ومعايير موضوعية وغير شخصية تنهض على القانون الوضعي.

وهذا النمط القانوني من السلطة يشيع فى المجتمع الغربي الحديث ، وهناك السلطة التقليدية التي ترتكز على الثقافة التقليدية والاعتقاد في قدسية القيم والتقاليد وشرعية المكانة التي يحتلها أولئك الذين يشغلون الأوضاع الاجتماعية الممثلة لهذه السلطة كما هو الحال في المجتمعات الريفية ، وهناك أخيراً السلطة الروحية أو الملهمة التي تعتمد على الثقافة الروحية والولاء المطلق لقدسية معينة استثنائية مثل البطولة أو نموذج شخصية تتمتع بكاريزمية أو بسبب نظام أبتدعه أو دعمه زعيم معين (٢٢)

ويرى فيبر أنه إذا كان المجتمع يتطور نحو الترشيد المستمر فإن نظمه السياسية تخضع لنفس التطور الذي يتوقف على نوع الثقافة السائدة حيث تتطور هذه النظم من نظم تعتمد على أنماط تقليدية وكاريزمية للسلطة إلى نظم تعتمد على أنماط قانونية للسلطة ، ويتضمن هذا تحولاً نحو صيغة المجتمع التعددي في بناءه السياسي والاجتماعي، ففي المجتمع الذي تسود فيه السلطة التقليدية والكاريزمية تكون مكانة القائد هي أساس سلطته ولكن عندما ينمو الرشد وتنمو البيروقراطية يظهر ضرب من التباين داخل المراتب الاجتماعية فيظهر التباين بين الطبقة والمكانة من ناحية وبين نسق التدرج الاجتماعي والقوة السياسية من ناحية أخرى ، ويتوقف هذا على مرونة الثقافة السائدة و تطورها وتبنيها لحدوث الحراك الاجتماعي بين أفرادها .

٢ -نظرية بارسونز: -

شيد بارسونز في نظريته ثلاثة انساق تحليلية هي النسق الاجتماعي ونسق الشخصية والنسق الثقافي. ويعرف بارسونز النسق الإجتماعي بإنه مجموعة من الأفراد المدفوعين بميل إلى الاشباع الأمثل لاحتياجاتهم وتسود العلاقات بينهم طبقاً لنسق من أنماط الثقافة المركبة والمشتركة بينهم. وإن علاقة الأفراد بمواقفهم الإجتماعية تتحدد في ضوء الثقافة الخاصة بهم وأنماطها وما تنطوي عليه من قيم (٢٣)

وقد نظر بارسونز إلي الثقافة علي أنها نتاج من ناحية وكعامل محدد من ناحية أخري لانساق التفاعل الاجتماعي الانساني وهو يؤكد إنها تتناقل وتتعلم وتصبح مشتركة بين الناس ، ويميز بين ثلاثة أنواع رئيسية من الأنماط الثقافية وهي:- أنساق الأفكار أو المعتقدات ،أنساق الرموز التعبيرية كالأشكال الفنية ، أنساق التوجهات القيمية وتتجه هذه الأنماط الثقافية إلى الأنتظام في أنساق علي أساس الاتساق المنطقي لأنساق المعتقدات أو الانسجام الأسلوبي للأشكال الفنية والملاءمة العقلية لكيان القواعد الاجتماعية. (٢٤)

وقد إعتقد بارسونز أن القيم أنماط ثقافية شاملة ذات جذور دينية وإنها بهذا المعني تظل محافظة على استقرارها. وأن تحقيق التكامل بين نسق الشخصية والأنساق الثقافية داخل النسق الاجتماعي الأكبر يرتكز على نسق القيمة المحوري أو التوجهات العامة نحو الفعل. ذلك أن الفعل الاجتماعي هو في جوهره سلوك ينطوي على توجيه قيمي. كما أن نمط هذا السلوك يتحدد من خلال المعايير الثقافية أو السنن الاجتماعية. (٢٥)

ويري بارسونز أن الإطار المرجعي للفعل الأجتماعي ينطوي علي فاعل، وموقف ويتكون من الموضوعات الفيزيقية والإجتماعية التي يرتبط بها الفاعل ، وتوجيه الفاعل Actor's orientationsإزاء الموقف ، ومحور نظريته هنا هو توجيه الفاعل ويمكن التمييز بين عنصرين توجيهيين هما : -

التوجيهات الدافعية والتوجيهات القيمية الثقافية. (٢٦)

ويري بارسونز أن الأنماط الثقافية تعمل علي تكوين بناء أنساق الفعل وإنها تتخذ طابعاً بنائياً وتدفع الفاعل على أن يختار بين الأشياء وقيمها بحيث يجبر علي أن يتخير بمعنى أن يختار شيئاً معيناً أو ضرباً معيناً من ضروب السلوك دون الأخرى. وبناء على هذا فإن الفعل الذي توجهه القيم الثقافية هو بالضرورة إختيار لشئ معين ورفض لشيء آخر، ومن ثم فإن الأزدواجية والتناقض كامنان في عالم الثقافة والقيم. (٢٧)

وقد أكد بارسونز في تحليلة للفعل الإجتماعي علي أهمية نسق الثقافة المتمثل في الطابع الرمزي وإضفاء المعني علي الأشياء للفعل الإنساني، ففي اعتقاد بارسونز أن الموضوعات التي يرتبط بها الفاعل أو يتفاعل معها يتم إستيعابها وتفسيرها من خلال عالم ثقافي رمزي يضفي عليها المعني الذي تتضمنه ، وإن النسق الثقافي الخاص بالقيم والرموز له أهمية بالغه حيث إنه مصدر كل المعاني لأي فاعل إجتماعي (٢٨)

وقد قدم بارسونز في نظريته عن متغيرات النمط Pattern Alternatives المعايير أو أنماط توقعات الدور في إختيارات الفرد . وقد إعتبرها من المكونات الرئيسية لانساق الفعل ، ويعني هذا أنه نظر اليها علي إنها تمتلك القدرة علي التعميم التحليلي فهي متغيرات يمكن أن تنطبق علي سلوك الفرد أو سلوك الجماعة وعلي الجماعات الصغيرة أو المجتمع الكبير ككل وعلي وصف أفعال الأفراد الفاعلين أو النظم الإجتماعية في ضوء الثقافة السائدة . ومن ثم يري بارسونز أن لمتغيرات النمط دور في بناء انساق الفعل وإن إزدواجية موقف الفاعل وتوجهاته الثقافية تعتبر نقطة مركزية في نسق الفعل . (٢٩)

وقد قسم بارسونز متغيرات النمط إلى خمسة أزواج من البدائل على أساس ثقافي حيث توضح خصائص الأفرد الثقافية في المجتمع الصناعي الحديث في مقابل خصائص الأفراد الثقافية في المجتمع التقليدي، ويمكن علي أساسها التفرقة بين الأنماط الثقافية في المجتمعات المتقدمة والمجتمعات النامية (٣٠)

٣ – نظرية ميكل تومبسون – ريتشار إليس – أرون فيلدا فسكى :-

توضح هذه النظرية أن الأنماط الثقافية تتعدد وتتنوع فى المجتمعات وقد صنفت هذه النظرية أنماط الحياة الثقافية إلى خمسة أنماط هى :- التدرجية – المساواتية – القدرية – الفردية – الإستقلالية .

وإذا كان هناك تنافس بين هذه الأنماط فإن بينها كذلك اعتماداً متبادلاً. وقد يتعايش أكثر من نمط فى مجتمع واحد مثل الفردية والمساواتية فى المجتمع الأمريكى ومثل التدرجية والفردية فى المجتمع البريطانى ، غير أنها تظل في حالة من اللاتوازن حيث يسعى كل نمط ثقافى إلى تغيير فى قوته النسبية تجاه الآخر . (٣١)

ويرى أصحاب هذه النظرية أن تلك الأنماط الثقافية الحياتية تختلف في تأثيرها وفقاً لمدى تأثير ثقافة الجماعة على الفرد ومدى استغراقها لحياته ودعمها له ، الأمر الذي يؤثر بالتالي على درجة ارتباط الفرد بالجماعة إذ كلما زاد هذا الارتباط أو زاد الضبط الاجتماعي، زادت الحواجز بين أعضاء الجماعة وبين الأعضاء خارج الجماعة . ولا يقتصر الأمر على ذلك بل إن الأمور التي يفضلها الناس فى حياتهم ترتبط كذلك بأنماط الحياة وفى مقدمتها طرق المعيشة التى نفضلها مع الآخرين وما يترتب على ذلك من عادات فى حياتنا اليومية. فالإنحيازات الثقافية هى التى تعلم الناس ماذا يفضلون وماذا يمقتون. ومن ثم يحرص كل نمط ثقافى على تنمية ممارسات وقيم ومعتقدات تقوم بدورها بإضفاء الشرعية على نموذج العلاقات الإجتماعية الخاصة بذلك النمط مع إعتماد تلك الأنماط شبه التام على بعضها البعض. (٣٢)

ومن ثم تفسر هذه النظرية كيفية بقاء وإستمرار النمط الثقافى فى المجتمع حيث تعتمد هذه الإستمرارية على العلاقة التبادلية والتساندية بين التحيزات الثقافية والعلاقات الإجتماعية التى يتكون منها نمط الحياة ، ومن ثم فأن بقاء نمط الثقافة فى حياة المجتمع رهن بطبع أفراده بطابع الإنحياز الثقافى الذى يبرز هذا النمط او

بمعنى آخر يعتبر نمط الحياة بمنزلة قناة الاتصال التي تربط بين الفكر والسلوك ، ويكون الحكم على السلوكيات بإنها مرغوبة أو غير مرغوبة بناء على توافقها وأنسجامها مع قيم ومعتقدات النمط الثقافى .

٤ـنظرية صدام الحضارات: - (٣٣)

يشير صموئيل هنتنجتونفي كتابه صدام الحضاراتإلي ترسيخ إنقسام العالم إلي مناطق حضارية وثقافية مغلقة تستعد لمواجهة بعضها البعض ، فمع إنتهاء الحرب الباردة وإختفاء الصراع الإيديولوجي بين الشرق الإشتراكي والغرب الرأسمالي والذي خيم علي العالم لحوالي نصف قرن أصبح الانقسام الحضاري والثقافي أكثر وضوحاً من أي وقت آخر ، وأصبح صراع الحضارات محتملاً خاصة في نقاط المناطق الحضارية الكبري وهي علي النحو التالي:-

المنطقة الحضارية الأولي هي الحضارة ذات الثقافة الانكلوسكسونية التي تشمل دول اوربا الغربية والولايات المتحدة الامريكية وكندا أو هي الحضارة التي تقود العالم حالياً وتحقق أكبر قدر من النجاحات المادية والإنجازات العلمية. المنطقة الحضارية الثانية هي الحضارة ذات الثقافة البوذية والكونفوشية والهندوسية وتشمل معظم دول جنوب شرقي آسيا وهي منطقة أخذت تحقق نجاحات صناعية ومالية وتكنولوجية مثيرة وتبرز كمنطقة حضارية منافسة للحضارة الانكلوسكسونية. المنطقة الحضارية الثالثة هي الحضارة السلوفاكيه ذات الثقافة الأرثوذكسية وتغطي معظم دول أوربا الشرقية ودول البلقان وروسيا وهي دول قد مرت بمرحلة تنموية حرجة بعد أن أخذت في تطبيق النموذج الأقتصادي الرأسمالي علي أثر فشل التجربة الشيوعية السابقة. المنطقة الحضارية الرابعة هي الحضارة ذات الثقافة الإسلامية وتشمل الدول العربية وإيران وباكستان وأفغانستان وماليزيا وإندونيسيا بالإضافة إلي العديد من الدول الإفريقية وهي حضارة إزدهرت في فترة من الفترات التاريخية وقدمت إسهامات للتراث الإنساني ، يبدو أن بعضها مثل الدول العربية تعاني حالياً من التعثر .

المنطقة الحضارية الخامسةهى الحضارة ذات الثقافة الكاثوليكية المرتبطة بمعظم دول أمريكا اللاتينية وبعض دول جنوب أوروبا والتى أخذت تتحول إلى دول ديمقراطية تحقق نجاحات مهمة خلال العقود الثلاث الأخيرة من القرن الماضي وذلك كمدخل لإنجاز مشروعها التنموى أما المنطقة الحضارية الأخيرة فهى الحضارة الزنجية وتتركز فى قارة أفريقيا التى تعاني من عدم الاستقرار السياسي والفقر الشديد ويرى هنتنجتون أن أحتمال دخول هذه المناطق الحضارية فى حروب مستقبلية هو أحتمال قائم وذلك فى ضوء التوترات المتصاعدة بين الحضارة والثقافة الغربية والحضارات والثقافات الأخرى وبخاصة الحضارة والثقافية الإسلامية.

ومن ثم تكشف هذه النظرية عن أحد أوجه العولمة الثقافية حيث يمكن أن تتجه نحو صراع الحضارات ونحو الهيمنة لثقافة واحدة على سائر الثقافات ونشر الثقافة الأستهلاكية وجعلها الثقافة الأكثر رواجاً على الصعيد العالمي. كما تحمل في طياتها نوعاً من الغزو الثقافي أي من قهر ثقافة لثقافة أضعف منها.

وقد حفلت نظرية صراع الحضارات بجدل واسع وتثير عدداً من الأشكاليات حول علاقة العولمة بالهويات الثقافية لأنها تنطلق من الصراع وهذا وضع يبدو فى جوهره يتناقض مع فكرة العولمة التى يفترض فيها أن تقوم على التنميط أو التوحيد الثقافى حيث يذهب صموئيل هنتجتون إلى أن الهويات الثقافية هى التى تشكل انماط التماسك والتفسخ والصراع فى عالم ما بعد الحرب الباردة ويبشر بعالم تكون فيه الهويات الثقافية هى المركز الرئيسوتتشكل فيه العداوات والتحالفات وسياسات الدول طبقاً لعوامل التقارب أو الاختلاف الثقافي.

٥ ــ نظرية الانتشار الثقافي: -

تقوم هذه النظرية على أن أنتقال العناصر الثقافية السائدة فى الدول المتقدمة إلى الدول النامية تؤدى إلى تحقيق التنمية بها وأن العناصر الثقافية تنتقل أولاً من عواصم الدول المتقدمة إلى عواصم الدول النامية ثم تنتشر بعد ذلك فى عواصمها الإقليمية وباقي مناطقها. ومن أنصار هذه النظرية ليبست lipst وسميت smith واترك وألف walf.

وتهتم هذه النظرية بالتأثير الذي تمارسه ثقافة الدول الغربية على ثقافة المجتمعات غير الغربية مما يؤدى بالأخيرة إلى أن تصبح بشكل أو بآخر مماثلة للأولى وأن الدول النامية لا يمكن لها إلا أن تحتذى بنموذج ثقافة المجتمع الغربي في التنمية. (٣٤)

ويؤكد أنصار هذه النظرية تأثير الثقافة الغربية المتمثلة فى التكنولوجيا والسلع الأستهلاكية والقيم الغربية التى تنتقل إلى الدول النامية من خلال وسائل الاتصال الجماهيري والتعليم ، ويعتقدون أن المجتمعات النامية سوف تمر بنفس العمليات التى مرت بها المجتمعات الصناعية المتقدمة ، وأن نقل التكنولوجيا والصناعة إلى الدول النامية سوف يؤدى إلى تغيير الثقافة والبناء الاجتماعي لهذه المجتمعات بحيث تتشبه في نهاية الأمر بنموذج المجتمعات الغربية وثقافتها وانه إذا ما أرادت الدول النامية ان تحقق تنميتها فما عليها إلا أن تخلق صوراً إفريقية أو أسيوية خاصة بها من الثقافة الغربية . (٣٥)

تحليل سوسيولجي للإتجاهات النظرية في دراسة الثقافة:-

أكدت نظرية ماكس فيبر أن الرأسماليه الحديثة قد نشأت من خلال ثقافة العقيدة البروتستانتية وقيمها الأقتصادية ، وأن الرأسمالية الحديثة قد ظهرت عن طريق الدفع الذي مارسته قوة الثقافة الدينية وقيمها المتمثلة في البروتستانتية وقد استطاع ماكس فيبر أن يميز بين النظم السياسية وأنماط السلطة علي أساس الثقافة السائدة

واتخذ من النسق الثقافي السائد أساساً للتصنيف بين ثلاثة أنماط من السلطة الشرعية والنظم السياسية فيري أن هناك السلطة الرشيدة التي تقوم علي أساس الثقافة العقلية ومصدرها الاعتقاد في قيم ومعايير موضوعية وغير شخصية وتنهض علي القانون الوضعي . وهناك السلطة التقليدية التي ترتكز علي الثقافة التقليدية والأعتقاد في قدسية القيم والتقاليد. وهناك السلطة الروحية أو الملهمة التي تعتمد علي الثقافة الروحية والولاء المطلق لقدسية معينة إستثنائية مثل البطولة أو نموذج شخصية تتمتع بكارزمية ويحتذي بها لما لديها من مثل وقيم .

وإذا حاولنا إسقاط المقولات النظرية لماكس فيبر علي مجتمعنا المصري نجد أن السلطة التقليدية والسلطة الروحية هما السائدتان في بنائة الاجتماعي نظراً لسيادة الثقافة التقليدية والدينية به حيث تكون مكانة القائد هي أساس سلطته وليس القانون ولعل خير دليل علي ذلك أن من شغل منصب رئيس الجمهورية في مجتمعنا لم يخرج من السلطة إلا بالموت أو بالقتل أو بالثورة وليس بالقانون .

أما تالكوت بارسونز فقد أكد في تحليلاته للفعل الاجتماعي علي أهمية نسق الثقافة المتمثل في الطابع الرمزي واضفاء المعني علي الأشياء للفعل الإنساني ، وأن الموضوعات التي يرتبط بها الفعل أو سيتفاعل معها يتم استيعابها وتفسيرها من خلال عالم ثقافي رمزي يضفي عليها المعني الذي تتضمنه ، وقد قدم بارسونز في نظريته متغيرات النمط المعايير أو أنماط توقعات الدور في إختيارات الفرد علي أساس ثقافي حيث يري بارسونز أن لمتغيرات النمط دور في بناء انساق الفعل وأن إزدواجية موقف الفاعل وتوجهاته تعتبر نقطة مركزية في نسق الفعل في ضوء الثقافة السائدة . وقدم بارسونز خمسة أزواج من هذه المتغيرات علي النحو التالي:-

المصلحة الجمعية في مقابل المصلحة الذاتية ، العمومية في مقابل الخصوصية ، التخصيص في مقابل الإنتشار ، الأداء (الإنجاز) في مقابل النوعية (العزو) ، الحياد الوجداني في مقابل الوجدانية .

ويري الباحث أن هذه المتغيرات توضح الخصائص الثقافية للأفراد في المجتمعات الصناعية والتكنولوجية في مقابل الخصائص الثقافية للأفراد في المجتمعات التقليدية والتي يندرج مجتمعنا المصري في قائمتها حيث يتميّز سلوك الافراد بها بتفضيل المصلحة الذاتية والاهتمام بالشأن الخاص أكثر من الشأن العام ، والانتماء للعصبية ، وعدم الإلتزام بالمعايير الموضوعية في إصدار الأحكام وتفضيل المعايير الوجدانية عليها .

أما نظرية الإنتشار فتقوم علي أن إنتقال العناصر الثقافية السائدة في الدول المتقدمة إلي الدول النامية تؤدي إلي تحقيق التنمية بها ومن ثم تهتم هذه النظرية بالتأثير الذي تمارسة ثقافة الدول الغربية علي المجتمعات غير الغربية مما يؤدي بالأخيرة إلي أن تصبح بشكل أو بآخر مماثلة للأولي وأن الدول النامية لا يمكن لها إلا أن تحتذي بنموذج ثقافة المجتمع الغربي في التنمية .

ويري الباحث أن نظرية الإنتشار تتميز بالتحيز لثقافة الدول الغربية في التنمية والتحديث حيث نظرت إلي النموذج الثقافي الغربي علي إنه المدخل الحقيقي لتنمية وتحديث دول العالم الثالث وأغفلت نماذج ثقافية أخري للتحديث والتنمية غير الغربية وقد حققت نجاحات بارزه في تنمية بلدانها مثل نموذج ثقافة اليابان والصين .

أما نظرية صراع الحضارات فإنها تكشف عن أحد أوجه العولمة الثقافية حيث يمكن أن تتجه نحو صراع الحضارات ونحو الهيمنة لثقافة واحدة علي سائر الثقافات ونشر الثقافة الإستهلاكية وجعلها الثقافة الأكثر رواجاً علي الصعيد العالمي. وتحمل في طياتها نوعاً من الغزو الثقافي أي من قهر ثقافة لثقافة أضعف منها .

ويري الباحث أن المقولات النظرية السابقة قد اعتمدت على النظرة المتحيزة للثقافة الغربية والتي يري أصحابها أن الطريق الوحيد والأمثل أمام البلدان النامية لتنميتها هو إكتساب الثقافة الغربية وقيمها أي التغريب عن الثقافة المحلية وقيمها

وخصوصيتها التاريخية. ولذلك لابد من صياغة وتبني نموذج نظري يتسق مع معطيات الواقع الإجتماعي والثقافي لمجتمعنا والخصوصية التاريخية والثقافية له وأن يتميز في نفس الوقت بالمرونة والقدرة علي التعايش مع الثقافات الأخري والتفاعل الإيجابي والخلاق معها دون تقديم تنازلات في الهويه الثقافية أو الميراث الثقافي لمجتمعنا.

طبيعة الدراسة:-

تعد الدراسة الراهنة دراسة تحليلية، يحاول فيها الباحث الإستفادة من التراث النظري الذي يتناول الثقافة المحلية وطبيعة ظاهرة العولمة وآلياتها ومخاطرها الناتجة من فرض أنماطها الثقافية وتهميشها للثقافات المحلية الأخرى، وتهديد الخصوصيات الحضارية من خلال هيمنة القيم الامريكية والثقافة الاستهلاكية التي اخذت تنتشر على الصعيد العالميوذلك من خلال منظور علم الاجتماع الثقافي. وقد استفاد الباحث من خلال تحليله النقدي للدراسات التي تناولت هذا الموضوع في التوصلإلي فهم مناسب للظاهرة موضوع الدراسة من حيث طبيعتها وآثارها.

وسوف يتم عرض الدراسة التحليلية حسب المحاور الآتية:

أولاً :- العولمة بين التأييد والرفض وتحليل نقدي لها .

ثانياً:- تحليل سوسيولوجي لأزمة الثقافة المحلية في ضوء تحديات العولمة .

ثالثاً:- كيفية مواجهة الثقافة المحلية للعولمة .

ويتناول الباحث هذه المحاور بشئ من التفصيل علي النحو التالي: -

أولا:- العولمة بين التأييد والرفض وتحليل نقدي لهما:-

إختلفت الإتجاهات والتوجهات حول تناول ظاهرة العولمة وتراوحت ردود الفعل إزاء العولمة ما بين التأييد والرفض فهناك من يري بضرورة التسليم بها بصفتها مرحلة تاريخية حتمية في مسار تطور المجتمع الإنساني بل يتوسم البعض في العولمة انها خير للإنسانية من أجل إشاعة الديمقراطية وضمان حقوق الإنسان وتوطين النكنولوجيا المتقدمة في تربة الدول النامية ، وعلي النقيض من ذلك هناك من يرفض العولمة ويري انها شر وتغريب يهدد الهوية القومية ويوهن القدرة علي التنمية الوطنية .

ويعرض الباحث لهذين الإتجاهين وتحليل نقدي لهما علي النحو التالي :-

الإتجاه الأول القبول والتأييد:-

ويري اصحابه انه في ظل العولمة فقدت الدول القدرة علي التحكم في تدفق الأفكار والقيم والقناعات فيما بين المجتمعات والأجيال وفقدت السيطرة علي التداول الحر للأخبار والمعلومات بنمطها القديم وأصبح يتم عبر وسائل وتقنيات جديدة . لقد أصبح ملايين البشر موحدين تليفزيونياً وتليفونياً من خلال شبكات الانترنت وخدماتها المتنوعة. لم يحدث مثل هذا التواصل الإخباري الحر والمباشر بين الشعوب في أي وقت من الأوقات وبهذا يسمع ويري عدد هائل من سكان الأرض عما يجري في باقي أنحاء العالم من أحداث في وقت وقوعها وهو الأمر الذي يتم حالياً من خلال عدد ضخم وهائل من الأقمار الصناعية تقوم حالياً بربط العالم وبنقل الأخبار والأحداث والمعلومات والقيم إلي كل أرجاء المعمورة ، ومن ثم فإن العولمة الثقافية تعمل علي تواصل العالم وزيادة إنكماشة وتقريب مسافاته وهي نتيجة كانت مستحيلة في بدايات القرن العشرين بيد إنها أصبحت ممكنه في نهايته ،

أما النتيجة الأخري لمثل هذا التبادل الحر للأفكار والمفاهيم عبر الثقافات فتتمثل في بروز اهتمامات وعادات وأذواق وآمال وأهداف مشتركة لا تعبر عن ثقافة محددة بل عن مجموع الثقافات الحية في العالم . (٣٦)

ويؤكد ميتشيو كاكو أن ثورة المعلومات التي تتيحها العولمة خلقت منذ فترة أواصر كونية بحجم لم يعهد من قبل في التاريخ الإنساني محطمة المصالح الصغيرة والمحلية وخالقة الثقافة كونية . وكما جعلت آلة الطباعة التي إخترعها جوتنبرج الناس مدركين لعوالم أبعد من قراهم ومزارعهم ، فإن ثورة المعلومات تبني وتصهر ثقافة كونية واحدة من آلاف الثقافات الصغري ، وان هذا يعني أن رحلتنا المتجهة نحو العلم والتكنولوجيا ستقودنا يوماً إلي أن نتطور نحو حضارة حقيقية وهي الحضارة الكوكبية تبسط سيطرتها علي قوي كوكبنا ، ومن ثم فإن تقدم العلم يمكنه أن يخلق قوي تنقل الجنس البشري الي حضارة تؤثر في كامل المجتمع الحديث صانعاً في النهاية حضارة كونية ودافعاً إياها نحو طريقها إلي صنع تقدم الإنسانية . (٣٧)

ويري نبيل علي أن كل هذا يتم بفضل التطور الهائل في تكنولوجيا المعلومات والإتصالات حيث تمت رقمنة كل المعلومات بجميع أشكالها الصوتية والتصويرية وأصبحت متصلةبشبكة عالمية واسعة وسريعة تتيح المجال لجميع الأفراد وبجميع اللغات، الإطلاع علي ما لم يكن بالإمكان الإطلاع عليه في أي زمان بما في ذلك الإطلاع علي كل الموجودات في كل مكتبات وجامعاتومراكز البحوث العالمية . كل ذلك أصبح بالإمكان الحصول عليه بسرعة الضوء وأصبحت متاحة وموجودة في مجالات العمل والتجارة والتعليم والتدريب والمنزل، مقدمه حلولاً سريعة لمشكلات العمل والحياة . لقد ساهم كل ذلك في تحويل البيانات والمعلومات والمعارف الي سلع وخدمات مرغوبة يمكن للأفراد والمجتمعات الحصول عليها في أي وقت من الأوقات لمواجهة المشكلات التي قد تعوق تنميته

ومن ثم تحولت تكنولوجيا المعلومات الي قوة من القوي الثقافية والاجتماعية والسياسية في عالم اليوم . (٣٨)

ومن ثم يري عبد الخالق عبدالله أن العولمة هي ظاهرة تستمد خصوصيتها من عدة تطورات فكرية وتغيرات مجتمعية فرضت نفسها علي أرض الواقع ويأتي في مقدمة هذه التطورات إنفتاح الثقافات المختلفة وتأثرها بعضها البعض ، وأصبحت ثقافات المجتمعات بما في ذلك أكثر المجتمعات إنعزالاً أو رغبة في الإنعزال منفتحة ومنكشفة ولا يتضمن هذا الانفتاح الثقافي بالضرورة ذوبان الثقافات أو الحضارات في بعضها البعض بل أن العولمة تعمل علي إنتعاش الثقافات في ظل التنوع الثقافي حيث تقوم بنقل الثقافات الاخري والأفكار والأيديولوجيات بما في ذلك تياراتها المتشددة والمتسامحة إلي المستوي العالمي . ولا شك أن هذا الارتقاء بالثقافات إلي الطور العالمي سيسمح ببروز مفاهيم وقيم وقناعات وسلوكيات إنسانية مشتركة وعابرة لكل الحضارات والثقافات. (٣٩)

وعلى صعيد أخر يذهب عبد الخالق عبد الله إلى أن العولمة تعني زيادة الوعي بعالمية العالم وبوحدة البشرية وستبرز بوضوح الهوية والمواطنة العالمية وستتعود البشرية النظر إلى ذاتها ككتلة واحدة ذات مصير واحد وبقاء وفناء واحد وتشترك مع بعضها البعض في قيم عميقة تتخطي كل الخصوصيات الحضارية والثقافية. ففي ظل العولمة الثقافية يكتشف الإنسان بعده العالمي ويتعرف على هويته الإنسانية أكثر من أي وقت آخر، ولكن بروز الهوية العالمية في ظل العولمة لا يعني تلقائياً تراجع أو تهميش أو نفي الهويه الوطنية للفرد بل ستبقي الهوية الوطنية وربما ستتعزز وسترسخ. لكن بجانب الهوية الوطنية ستنمو الهوية الإنسانية والمواطنة العالمية والتي ستصبح أكثر وضوحاً من أي وقت آخر. ولقد كانت الهويه العالمية قائمة في ظل المراحل التاريخية السابقة. بيد إنها لم تكن بنفس الحضور والوضوح الذي أصبحت عليه خلال نهاية القرن العشرين.لكن بروز الوعي بالبعد العالمي في الوجود الإنساني لا يعني عدم الوعي بالوطن، والولاء

للإنسانية لا يعني سقوط الولاء للأسرة أو الجماعة أو الأمة. كما أن التواصل مع القضايا العالمية المشتركة كقضايا البيئة وحقوق الإنسان وتزايد عدد سكان العالم وإستمرار الفجوة بين الفقراء والأغنياء لا يعني فقدان الأتصال بالقضايا الوطنية أو الاهتمامات المحلية. كل الذي يحدث في ظل العولمة هو إرتقاء في تخيل الأفراد لوجودها على الكرة الأرضية حيث ستشعر البشرية وكأنها وحدة سكانية واحدة ومتلاحمة. إن العولمة تعنيْ أن الأقدام ستظل ثابتة في أرض الوطن بيد أن الهامات ستزداد طولاً والرؤية ستمتد إلى مسافات بعيدة ببعد الأفق ولن تتمكن الشجرة المحلية بعد اليوم من أن تحجب رؤية الغابة العالمية. (٤٠)

ومن ثم يري البعض أن العولمة هي نظام قديم في ثوب محكم جديد تحت شعار جيران في عالم واحد وهو شعار توثيقي لنظام جديد آخذ في دور التشكل ترتسم فيه معالم طريق يقود الدول إلي تخيل بنائي كقرية كونية صغيرة تضم الأمم والشعوب وتتأكد فيها الحاجة إلي نظام قيمي مشترك ونظام أخلاقي مدني عالمي وقيادة مستنيرة تقود الشعوب إلي جوار دولي واحد. (٤١)

ويقرر حيدر إبراهيم أنه يجب النظر إلي العولمة باعتبارها عملية لبلورة العالم في مكان واحد وان يفضي ذلك إلي ظهور حالة إنسانية عالمية والحالة الإنسانية هذه يفترض فيها عدم التعارض مع الهويات الثقافية وعدم تذويبها قسرياً ولكن قد تكون للعولمة القدرة علي تضمين الهويات وليس دمجها إذا أستبعدنا فكرة /الهيمنة. (٤٢)

فالعولمة لا تهدد الهوية الثقافية بالفناء أو التذويب بل تعيد تشكيلها وتساهم في تطويرها لتتكيف مع الحاضر والتغيرات العالمية حتي إن البعض يري أن العولمة تميل إلي تشكيل ثقافة عالمية لها خصائص مشتركة وليس بالضرورة أن يسيطر عليها مركز واحد . فقد تنهض بعض الثقافات غير الغربية دون أن تدخل في صراع مع الحضارة الغربية أي أن العلاقة تكون تكاملية وجدلية تتبادل التأثير والتأثر خصوصاً حين يتسابق الناس نحو الإرتقاء بالجوانب الأخلاقية للشخصية

الإنسانية وتخوض البشرية مع ما يسميه فرانسيس فوكوياما بالحروب الكبري للروح . (٤٣)

وأخيراً فإن أصحاب هذا الإتجاه يرون أن العولمة تمثل مرحلة حضارية جديدة ونقلة موضوعية في التطور البشري من خلال الإفادة من الفرص المعرفية الهائلة التي تتيحها والمصاحبة للتطورات العلمية والتكنولوجية في وسائل الإتصالات والتقنيات الحديثة للحصول علي المعلومات. ومن ثم فإن هذه العملية وفق تصورهم يتم بمقتضها إلغاء الحواجز والمسافات بين الدول والتي تنتقل فيها المجتمعات من حالة التباين والتمايز إلي حالة التجانس والتماثل وهنا يتشكل وعي عالمي وقيم موحدة تقوم علي مواثيق إنسانية عامة وتتبلور ثقافة عالمية تتسم بخصائص مميزة تقوم بربط أجزاء العالم علي الرغم من تباعدها وإنفصالها جغرافياً وسياسياً وعرقياً برابط وإمكانات تواصل قوية. (٤٤)

الاتجاه الثاني: -الرفض

ويرى أصحابه أن انتشار اقتصاديات السوق وتضخم نشاط وسائل الأتصال والمعلومات أدى إلى تكريس عولمة ثقافية تسعى إلى صوغ حضارة كونية جديدة بما يهدد روح الانتماء إلى الخصوصيات الثقافية وتستند هذه الدعوة إلى أدواتها التكنولوجية الأقوى أو فاعليتها الأقتصادية أو بواسطة القهر السياسى ومن ثم يبدون ترددا وتخوفاً من الأخذ بمفاهيم وقيم العولمة التى تروج عبر الفضائيات ومن خلال تقنيات التكنولوجيا الحديثة في الاتصالات.

ويرى حسن حنفى أن العولمة هي أحد أشكال الهيمنة الغربية الجديدة التى تعبر عن المركزية الأوروبية في العصر الحديث التى لا تقبل إلا التبعية المطلقة لها لضمانها استقرار السوق، كما هي تعبير عن مركزية دفينة فى الوعي الأوروبى تقوم على عنصرية عرقية وعلى الرغبة في الهيمنة والسيطرة. وقد أفرز الغرب أشكالاً جديدة للهيمنة عن طريق خلق مفاهيم خارج حدوده مثل العولمة، العالم ذو القطب الواحد، نهاية التاريخ، صراع الحضارات، الإدارة العليا، ثورة الاتصالات،

العالم قرية واحدة، الكونية وكلها مفاهيم غير بريئة تكشف عن سيطرة المركز على الأطراف في تاريخ العالم الحديث، وتجعل المثقفين في العالم الثالث يلهثون وراءها بالشرح والتفسير والتهميش دون ان يعلموا أن التهميش ليس الكتابة على النص بل الإخراج من التاريخ ودعوة إلى التقليد فى الأطراف وترك الإبداع للمركز وحده. (٤٥)

ويشير أنور عبد الملك إلى أن النظام العالمى الجديد هو نظام هيمنة المركز الواحد والنمط السائد الواحد الذي يقدمه هذا المركز إلى البلدان الاخرى والتى عليها ان تتمثل معاني هذا النمط إن أرادت أن تستمر في موكب التنمية. وهذه العملية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا انزوت خصوصية المجتمعات والقوميات والثقافات والحضارات الاخرى. (٤٦)

ومن ثم فالعولمة كما يراها أحمد مجدي حجازي هي دعوة او مسعى لنفى الحضارات الأخرى غير الغربية وأهم آلياتها تقويض السيادة الوطنية فى دول العالم الأقل تطوراً إن لم يكن تقويض دعائم هذه الدول ذاتها لتسيير مهمة الهيمنة الرأسمالية المعولمة وتوجيه الطابع القومىلشعوب العالم الثالث لتتواءم مع الحضارة الأوروامريكية. (٤٧)

ويشير أيضاً إلى أن الخطر الأكبر في عملية العولمة أنها تفرض من الخارج فهى ليست نتاجاً لتفاعلات بين الحضارات والمذاهب المتباينة على مستوى العالم ككل وهو الأمر الذى يكشف بشكل او آخر أن العولمة هى مرحلة معاصرة من مراحل الرأسمالية أو كما يصفها منظرو ما بعد الحداثة بأنها مرحلة متأخرة من مراحل الحداثة فى ظل ليبرالية جديدة أشار إليها البعض بأنها تمثل نهاية التاريخ أو كما يصفها البعض بأنها هجمة معاصرة للرأسمالية تستهدف تنميط العالم بالشكل الذى يخدم مصالح القوى الرأسمالية العالمية المسيطرة وبالذات الشركات متعددة الجنسيات . (٤٨)

وفى هذا الصدد يرى محمود عبد الفضيل أن العولمة كعملية تاريخية تنطوى على تناقض أساسي عادة ما يغفله البعض إذا إن هناك تناقضاً حاداً بين نزعتين مركزيتين الأولى تدفع فى اتجاه المزيد من التعددية والتمايز وأن هناك نوعاً من الديمقراطية المعلوماتية الجديدة من خلال أتساع دائرة مستخدمى الانترنت وغيرها من منجزات تكنولوجيا الاتصالات الحديثة.

الثانية: تدفع نحو مزيد من التمركز والاحتكار وخاصة في ظل موجة الاندماجات الكبرى كتلك التى نشهدها فى البلدان الغربية إذا إنه منذ بداية التسعينات نجد أن المصارف الكبرى والشركات الكبرى تندمج بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ التطور الرأسمالى وكذلك الحال بالنسبة للشركات الكبرى التى تسيطر على وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة. وبالتالى فأننا نعيش فى مرحلة تاريخية جديدة يتنازعها تياران متناقضان تماماً إذ أن المزيد من الدمج والتمركز الإحتكارى يؤدى لنفى المنافسة وبالتالى نفى التعددية لأنه إذا ما تمت السيطرة على مراكز الانتاج ومراكز رأس المال ومراكز البث الإعلامى بواسطة الشركات الكبرى فإننا سوف نشهد مرحلة جديدة من التطور الإقتصادى والإجتماعى العالمى بقيادة رأس المال تؤدى إلى السيطرة الإجتماعية ليس على وقت العمل فقطبل على وقت الفراغ أيضاً حيث انه أصبح من الممكن التحكم فى وقت فراغ جمهور العاملين من خلال وسائل الإعلام والتسلية الحديثة وبالتالى فإن الوقت المتاح للعمل السياسى والتغيير السياسى يتم تقليصة وتضييق مساحته إلى أضيق الحدود . (٤٩)

ويؤكد نفس المعنى كل من بول هيرست وجراهام طومبسون حيث يشيرا إلى اننا نعيش فى حقبة يتحدد فيها الشطر الأعظم من الحياة الإجتماعية بفعل صيرورات كونية تذوب فيها الثقافات الكونية والاقتصادات والحدود القومية وتقف فكرة وجود عملية سريعة وجديدة من العولمة الإقتصادية فى القلب من هذا التصور.

ويزعمان أن اقتصاداً كونياً بحق قد برز أو إنه بسبيله إلى البروز وأن هذا الأقتصاد الكونى يجعل من الإقتصادات القومية وبالتالى الإستراتيجيات المحلية لإدارة الإقتصاد القومى أمور ناقلة على نحو مطرد ويفيد هذا الزعم أيضاً أن الإقتصاد العالمى قد تدوول من ناحية ديناميكيته الأساسية وأنه بات خاضعاً لقوى السوق الجامحة وان الشركات العابرة للقوميات هى بحق الفواعل الإقتصادية والأدوات الأساسية للتغيير وإنها لا تدين بالولاء لأي دولة قومية وتستقر حينما تقتضي المصلحة فى السوق الكوني. (٥٠)

ويقرر حسن حنفى ان مفهوم العولمة برز لإحكام السيطرة على العالم بأسره لصالح المركز ضد مصالح الأطراف وأصبح كل من يدافع عن الخصوصية والأصالة والهوية الثقافية والاستقلال الحضاري رجعياً، ظلامياً، أصولياً، إرهابياً، متخلفاً، ماضوياً، سلفياً. كما انتشر مفهوم الإدارة العليا أى مركزية التحكم وإصدار القرارات على حساب المؤسسات اللامركزية والعمال. (٥١)

وتتفق نظرية فرانسيس فوكوياما مع هذا الأتجاه والتى تنادى بنهاية التاريخ أو نهاية الصراع والاختلاف وبانتصار الحضارة الغربية وسيادتها على العالم وانتصار الليبرالية الاقتصادية والسياسية ، وهو يري أنه مع إنقضاء القرن العشرين يمكن الحديث مجدداً عن تاريخ جديد للبشرية واضح المعالم حيث تتجه أغلب البشرية إلي الديمقراطية الليبرالية وهو متأكد من حدوث ذلك لسببين الأول يتصل بالاقتصاد والثاني يتصل بما يسمى الصراع من أجل نيل الاحترام والتقدير وإنه قد تحدث صراعات صغرى فى بعض أقطار العالم الثالث ولكن لن يشهد العالم أصراعات كبرىلأن حرب الأفكار والأيديولوجيات قد انتهت وستتركز الصراعات إن وجدتحول حل المشكلات الاقتصادية والتكنولوجية . (٥٢)

ويعلق حسن حنفى على نظرية فرانسيس فوكاياما فيقول ان مراكز البحث الإستراتيجي في الغرب خاصة فى الولايات المتحدة قد صدّرت مفهوم " نهاية التاريخ " بعد أنهيار المنظومة الاشتراكية وانتصار الرأسمالية وكأن التاريخ قد

تحقق والزمن قد انتهى والقيامة قد قامت ولم يعد هناك تطور ولاتغير ولا انتقال إلى مرحلة أخرى قادمة فتم الحجر على المستقبل وإيقاف دورات الزمن وضاعت ازمات الرأسمالية فى زحمة الإعلام وسيطرة الرأى الواحد ، كما اعتبر كل تيار ومذهب نفسه نهاية التاريخ مثل الرومانسية ، المثالية المطلقة ، الوصفية ، الوجودية ، البنيوية ، البراجماتية ، التحليلية بل والأيدلوجيات السياسية أيضاً . ووقعت بذلك حضارة الغرب ذات التقدم المستمر فى تناقض مع نفسها بإيقاف التقدم وإعلان نهاية التاريخ مع إنه فى حضارات أخرى يبدأ التاريخ دورة جديدة ، نهضة وتقدم وحداثة كما هو الحال فى الشعوب المتحررة حديثاً . (٥٣)

وقد حفلت فكرة صراع الحضارات بجدل واسع وأثارت إشكاليات في علاقة العولمة بالهوية الثقافية وقد ظهر هذا واضحاً فى أطروحة صموئيل هنتجتون (صراع الحضارات) والتى تنطلق من فكرة الصراع بين الحضارات والثقافات المختلفة وتصارع التوترات بينهم وهذا وضع يبدو فى جوهره يتناقض مع مفهوم وقيم العولمة التى تقوم في أساسها كما يتصور البعض على التوحيد الثقافى وقيام ثقافة عالمية مشتركة إلا ان صموئيل هنتجتون يذهب إلى أن الثقافات المحلية والهويات الثقافية هى على المستوى العام هويات حضارية تقوم بتشكيل وصياغة أنماط الترابط والتماسك والصراع فى عالم مابعد الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالى والشيوعى ويبشر بعالم أصبحت فيه الهويات الثقافية والقومية والحضارية هى المركز الاساسى والتى تتشكل فيه طبقاً لعوامل التقارب أو الاختلاف الثقافى سياسات الدول والعداوات والتحالفات بينهم ومن ثم يرى أن الحضارات هى القبائل الإنسانية وصدام الحضارات هو صراع قبلي على نطاق كونى عالمى . (٥٤)

ويستنتج حامد عمار إنه قد نجم عن هذه التيارات العولمية والتفاعلات فيما بينها أن وجدنا أنفسنا فى عالم تختلط فيه الفرص بالمخاطر والإيجابى والسلبى ، لقد كان من المنتظرأن يكون مفهوم القرية العالمية بشيراً بالتعاون الدولى والعلاقات

المتكافئة في المعاملات والثمرات ، بيد انه سرعان ما بدت هيمنة القطب الواحد فارضاً شروطه وطاغياً بمصالحة على حساب الدول النامية بالضغوط المختلفة وبالمعايير المزدوجة وتزييف الحقائق بما فى ذلك الإعتداءات السافرة والحروب . وأدت المبادرات الخاصة واستثماراتها المستهدفة للتنمية المتحررة من الأجواء البيروقراطية المعقدة لتتحول إلى إحتكارات عالمية فى مجموعة قليلة من الشركات والمؤسسات خانقة ومعطلة لجهود التنمية المستدامة ولم تعد للدولة سيطرة على أنشطتها بل أضطرت فى بعض الحالات إلى منحها مزيداً من الامتيازات وقد أدى ذلك إلى مزيد من تفكيك الدولة وإلى انتهاك اعتباراتها الوطنية والسيادية حيث لا توجد أيديولوجية أقل اهتماماً بالوطنية كالرأسمالية وبخاصة الرأسمالية فى إطار الليبرالية وسوقها المتوحشة. (٥٥)

ثانياً :- تحليل سوسيولوجي لازمة الثقافة المحلية في ضوء تحديات العولمة:-

يقرر أحمد مجدي حجازي أن الهدف من العولمة هي بلورة ثقافة عالمية تتسم بسمات خاصة تستفيد منها الفئات المسيطرة على العمليات الاقتصادية والسياسية والإعلامية حيث تحتكر التقنية والإنتاج الإعلامي على المستوي العالمي. ولا شك أن ذلك من شأنه تشكيل نمط محدد من الوعي الثقافي وفرض نماذج وفلسفات غربية من خلال إنتاج وتوزيع واستهلاك المواد الإعلانية والاتصالية. وقد قامت الشركات متعددة الجنسية والمسيطرة علي أدوات التقنية الحديثة بدور بارز في تغيير إتجاهات الأفراد سواء داخل المجتمع الغربي ذاته أو خارجه وكان التأثير الأكبر علي الفئات الشعبية في المجتمعات التقليدية التي تتغلغل فيها الثقافات الغربية الموجهة. (٥٦)

لذلك يري نبيل علي أن ثقافتنا ستضمر أمام جحافل ثقافة العولمة الوافدة وستسلب منا نصوصنا وتراثنا ونتاج إبداعنا تحت دعوي مزج الثقافات وحوار الحضارات وتكفي الإشارة هنا إلي ما فعلته الشركات الأمريكية في استغلال منتجات الصناعات اليدوية في الدول النامية من أندونيسيا إلي المكسيك جاعله منها

تجارة عالمية لا يتجاوز نصيب الصانع المبدع فيها ١٠ % فلا حماية حتي الأن للملكية الفكرية الجماعية المتعلقة بروائع التراث الشعبي والتي لم تهتم بها منظمة اليونسكو إلا أخيراً. (٥٧)

أما حسن حنفي فيري أن الغرب قد قام بنحت مفاهيم للتصدير خارج المركز إلي الأطراف مثل مفاهيم ما بعد الحداثة ، التفكيك ، صراع الحضارات إذ تعني ما بعد الحداثة نهاية عصر الحداثة الذي ارتبط بالقانون والنظام والتنظير والتعقيل والترتيب والتحكم في قوانين الطبيعة وغايته الإنسان والتقدم وهي المفاهيم التي قامت عليها حضارة المركز ذاته منذ بداية عصوره الحداثية حتي الآن وبالتالي بداية عصر الفوضي في الطبيعة والمعاداة للمنهج وهدم العقل بعدها والتعددية بلا نهاية أو هدف وغياب الحوار والتفاهم ، وكأن الغرب بعدما نعم بالحداثة ومآثرها وإكتفي منها وسئمها يريد هدمها بما في الغرب من قوة علي التجاوز ويحاول منع الحضارات الآخري من الوصول إليها والإستفادة منها خاصة وإنها في مرحلة التحول من القديم إلي الجديد ومن التراث إلي الحداثة ومن الماضي إلي المستقبل .

كما ذاع مفهوم التفكيك كخطوة أبعد من التحليل، تفكيك كل شئ بما فيه العقل وحده " اللوجوس " الذي جعله القدماء أحد تجليات الألوهيه وأشكالها ، أصبح الشيطان الذي يجب التخلص منه ، نسيج العنكبوت الذي يجب تقطيعه حتي لا يبقي شئ ولا العنكبوت نفسه . في التحليل كانت الغاية ضبط العبارة وإحكام اللفظ وفي التفكيك تبدأ الكتابة من درجة الصفر فالفكر مجرد وحدات كتابية لا تعبر عن معني سابق ولا تفيد معني لاحقاً ، الفكر أجراس اللغة وأصوات الألفاظ وحضارات الهامش تحاول التجميع والتركيب خوفاً من التفتت والتشرذم والضياع بإسم الملل والنحل والطوائف . ثم يتم تصدير صراع الحضارات لتحويل العالم إلي دوائر حضارية متجاورة ومتصارعة علي مستوي الثقافات لإخفاء الصراع حول المصالح والثروات وإلهاء شعوب الهامش بثقافاتها التقليدية. بينما حضارات المركز

تجمع الأسواق وتتنافس في فائض الإنتاج عوداً إلي النغمة القديمة مادية الغرب في مواجهة روحانية الشرق. (٥٨)

لذا يقرر محمود عبد الفضيل في هذا المجال أنه لم يعد صندوق النقد الدولي ذلك الجهاز الذي يتحكم في مقادير بلدان العالم الثالث في ظل العولمة إذ أن هناك قائداً جديداً للأوركسترا في أسواق المال الدولية يقوم بحبس تدفقات الاستثمارات والأموال عن البلدان التي لا تناوئ البلاد المتحكمة في سياساته، وأن هيئة الأركان الناشئة التي تدير أسواق المال العالمية هي وكالات التقييم والتصنيف الدولية التي تصنف الاقتصاديات النامية وتعطيها درجات مثل التلاميذ A. B .Cأو بشرطة أو بشرطتين وبالتالي فهي تخفض من تشاء وترفع من تشاء من اقتصاديات بلدان العالم النامي حسب درجة الانصياع لقواعد وآليات العولمة.

لذا فقد بدأنا نسمع في التسعينات من القرن الماضي عن تلك المؤسسات والوكالات الجديدة التي نصبتها دوائر رأس المال العالمي كشرطي المرور الذي يضئ الضوء الأحمر والضوء الأخضر وقلما الضوء البرتقالي أمام تحركات الأموال وتدفقات الاستثمارات عبر بلدان العالم وأصبح هناك دور كبير ومغالي فيه لتلك المؤسسات التقيمية وعلى رأسها استاندرد آند بورز – موديز – آبيكا. ويسوق مثالاً مهماً يوضح أهمية الدور الخطير الذي تلعبه تلك المؤسسات التقييمية في ظل نظام العولمة ، فعندما أجرت الهند تجربتها النووية مؤخراً بتفجير فنبلتين يقرر فريدمان في كتابه من خلال ثنائية السيارة ليكساس التي ترمز للرأسمالية والنظام العولمي وشجرة الزيتون التي ترمز للهوية الوطنية إنه علي الرغم من أن دوافع شجرة الزيتون الهندية تفوقت فيما يبدو علي حاجتها للسيارة ليكساس إلا انه عندما يحدث ذلك في ظل نظام العولمة في يومنا هذا يكون له دائماً ثمن غير ظاهر علي المدي البعيد ثم إذا به يميط اللثام عن ذلك الثمن غير الظاهر الذي دفعته الهند في أعقاب إجراء التجارب النووية الهندية قررت وكالة موديز خفض تصنيف الإقتصاد الهندي من مرتبة الاستثمار التي تعني أنه اقتصاد آمن للمستثمرين العالميين إلي

مرتبة المضاربة التي تعني أن هناك مخاطر تحيط بالاستثمار في الهند . كما غيرت وكالة ستاندراد آندبورز للتصنيف الاقتصادي تقريرها عن الاقتصاد الهندي من مستقر إلي سلبي وذلك من شأنه أن يؤدي إلي أن تدفع أي شركة هندية تحاول اقتراض أموال من الأسواق الدولية أسعار فائدة أعلي وبالتالي ترتفع تكلفة الاقتراض من أسواق المال العالمية بالنسبة للاقتصاد الهندي عموماً. (٥٩)

وهكذا فإن نظام العولمة الذي يتم التبشير به له جهاز شرطة خاص به يرصد تحركات الذين لا ينصاعون انصياعاً كاملاً لقوانين العولمة ويبادر بالقيام بعمليات التأديب الأقتصادية اللازمة ويقطع عنه النور والمياه ليعوق مسيرة التنمية بالشروط الوطنية ، وهل هناك تخويف وترهيب أكثر من ذلك ؟ وهكذا أصبحت وكالات التقييم الدولية تحل محل وكالات المخابرات في تأديب الحكومات في بلدان العالم الثالث واسقاطها عند اللزوم. (٦٠)

ومن ناحية أخرى يشير جلال أمين إلي مفهوم حضارة السوق الذي قدمه كارل بولاني في كتابه المعنون (الانقلاب الكبير) والذي يشير فيه إلى أن نشر حضارة السوق في العالم التي تقوم علي تحويل كل شئ إلي سلعة وتصبح جميع الأشياء قابلة للتسعير وقابلة للبيع مقابل كمية من النقود لصالح القوي الرأسمالية. هذا المفهوم يعتبر خطوة أخري نحو المزيد من تغريب المجتمعات النامية في ظل حضارة السوق العالمية التي تدعو إلي تحويل كل شئ خطوة بخطوة ليصبح محلاً للبيع والشراء حتي روح الإنسان نفسه. (٦١)

أما حامد عمار فيؤكد أن نظام العولمة وتجلياته ورسائل الفضائيات التليفزيونية إنما تشيع قيماً سوقية لا تعبأ كثيراً بقضايا الوطن والمواطن، بل إنها تسعي بطريقة مباشرة وغير مباشرة إلي إقتلاع الفرد من جذوره وخلخلة التماسك الاجتماعي والثقافي المشترك. وقد تسعي أحياناً إلي إثارة النعرات الطائفية والعرقية وقد تؤدي كذلك إلي تناهي موجات الهجرة ألي الخارج أو علي الأقل إلي زيادة أحلام الهجرة التي تراود الشبان وتشل فاعليتهم في الأوطان. (٦٢)

وعلي صعيد آخر يذهب البعض إلى أن العولمة لا تعني مجرد صراع الحضارات أو ترابط الثقافات بل إنها توحي أيضاً بنشر الثقافة الاستهلاكية عالمياً. فلم يحدث في التاريخ أن أصبح العالم مقبلاً علي رموز ومعطيات وسلع الثقافة الاستهلاكية كما هو مقبل عليها الآن ، كما أنه لم يحدث في الماضي أن تمكنت الثقافة الاستهلاكية من الوصول إلي قطاعات واسعة من الأفراد والشعوب من كل المستويات الاجتماعية . ورغم رواج هذه الثقافة بين كل الشرائح الاجتماعية إلا أنها تتوجه بشكل خاص للشباب ، فالشباب الذي أخذ يبرز كقوة شرائية صاعدة في كل دول العالم يأكل من الوجبات السريعة نفسها كالهامبرجر والبيتزا أو دجاج كنتاكي ويشرب من المشروبات الغازية كالبيبسي والكوكاكولا ويستمع للأغاني الشبابية الراقصة لفرق الاسبايسي ومادونا ومايكل جاكسون، ويلبس الملابس العالمية نفسها من الجينز بماركاته المختلفة ويشاهد الافلام المثيرة كأفلام التيتانك وحرب النجوم . (٦٣)

ويقرر أحمد مجدي حجازي لقد لعبت آلية تعميم ثقافة الاستهلاك دوراً مؤثراً في إضعاف روح الابتكار في الثقافة المحلية والانبهار بثقافة الغرب ويتضح ذلك من خلال رصد مظاهر التطلعات الإستهلاكية لذي الفئات والشرائح المختلفة في الدول النامية والعالم العربي وخير مثال علي ذلك أننا نجد التطلع الشديد للبحث عن الجديد في الأسواق بغض النظر عن حاجة المجتمع إلي هذا الجديد من السلع ولم يقتصر الأمر علي الفئات العليا في هذه المجتمعات وهو ما كان هدفاً في حد ذاته في النظام الاستعماري القديم حيث كانت الاستراتيجية تقوم علي خلق شرائح قادرة علي الاستهلاك . لقد أصبح الاستهلاك وهذا هو الجديد معمماً علي الفئات العمرية والفئوية المختلفة فانتشار لعب الأطفال مثلاً التي انتقلت من المرحلة التقليدية المعروفة إلي المرحلة الحديثة التي تدفعهم بصورة مبهرة نحوها هو خير دليل علي ذلك. لقد ساعدت كل تلك المظاهر والتجليات العولمية علي تغريب الثقافات الوطنية من خلال آليات أصبحت أكثر قوة مثل وسائل الإعلام والتقنية الحديثة واحتكارها للمعرفة ، وكان لصناعة الثقافة دور مهم في هذا الإطار حيث تم

توجيه نمط الثقافة نحو إعادة إنتاج وتقوية منطق الإستهلاك لدي الشعوب . ومن يستعرض مثلاً الأسواق الخليجية والعربية بوجه عام سوف يشهد بأن التوكيلات التجارية الأجنبية المسيطرة علي هذه الأسواق تستأثر بالنصيب الأعظم من جملة العمليات التجارية القائمة. (٦٤)

لقد تحولت الثقافة الإستهلاكية في ظل آليات الهيمنه العالمية إلي إحدي مجالات تدويل النظام الرأسمالي وآلية فاعلة لتشوية البني التقليدية ، وتغريب الإنسان وعزله عن قضاياه وإدخال الضعف لديه ، والتشكيك في جميع قناعاته الوطنية والقومية والأيديولوجية والدينية وذلك بهدف إخضاعه نهائياً للقوي والنخب المسيطرة علي القرية الكونية وإضعاف روح النقد والمقاومة عنده وحثي يستسلم نهائياً إلي واقع الإحباط فيقبل بالخضوع لهذه القوي أو التصالح معها .

وهكذا تعد العولمة أحد التحديات التي تقف أمام بناء المجتمعات التقليدية لأنها تحطم قدرات الإنسان فيها وتجعله إنساناً مستهلكاًغير منتج ينتظر ما يجود به الغرب ومراكز العالم من سلع جاهزة الصنع بل تجعله يتباهي بما لا ينتجه. فهو القادر علي إستهلاك ما لا يصنعه ، مما يشكل لدية قيم الأتكاليه والتواكل والتطلع إلي اقتناء السلع الإستهلاكية التي تتغير يومياً لا في سبيل التطوير فقط بل في سبيل زيادة حدة الإستهلاك علي المستوي العالمي .ومن ثم يعد تعميم ثقافة الاستهلاك واحداً من آليات الهيمنة المفروضة علي الشعوب والأمم التقليدية وهو مجال مكمل مع أنماط أخري من التدويل في الإنتاج والمال والتقنية ، وتشكلت مؤسسات لهذا الغرض حتي تضمن الفئات الرأسمالية مديرة الشئون العالمية تصريف منتجاتها وتوزيعها عالمياً وعلي أوسع نطاق . ولعبت الشركات متعددة الجنسيات دوراً مؤثراً في ذلك واهتمت بإنتاج رموز وبنود ثقافة الاستهلاك لتتكامل مع السلع المادية المنتجة ولا يختلف ذلك عن استخدام هذه المؤسسات للعلوم الاجتماعية والسلوكية وتوظيفها في خدمة هذا الغرض. (٦٥)

وتشير ناهد مصطفى في دراستها لنسق القيم في الأسرة المصرية في ظل العولمة أن ٦ر٦٤% من أجمالي عينة الدراسة أفادت أن مؤسسات العولمة تعتمد في تقديم منتجاتها على أسلوب الإبهار والتشويق لا سيما الموجهة لفئات الشباب لجذب تلك الفئات إلى الثقافة الغربية، وتؤكد الباحثة أن من سلبيات العولمة أنها تعمل على إشاعة حياة وسلوكيات غربية تتعارض مع أنماط الحياة والسلوكيات التقليدية الشائعة في المجتمعات الأخرى وتعمل على عولمة الثقافة من خلال وسائل الإعلام المختلفة فتتعدى بذلك على حق الشعوب في الاحتفاظ بهويتها الثقافية. (٦٦)

ويشير حسن حنفي إلى أنه في ظل العولمة تعم قيم الاستهلاك والمتعة بالحياة ولا تنظر الأمم إلي مشاريع قومية وخطط إستراتيجية بعيدة المدي . فذلك من إختصاص المركز (الغرب) وما علي الأطراف إلا ركوب القطار الذي يحدد المركز اتجاهه وسرعته ونوع حمولته وقائده ووقوده ومحطاته التي يتوقف فيها أو التي يتجاوزها. فإذا ما اتسعت المسافة بين الأغنياء والفقراء إنتشرت الجرائم المنظمة وظواهر البلطجه والحماية الشخصية واسترداد الحقوق أو نهبها باليد ما دام العنف أصبح الوسيلة لتحقيق المطالب وينتشر الفساد والمضاربة ووسائل الكسب السريع وتهريب الأموال ويزداد الغلاء والترف ويزدهر الجنس متعة رخيصة لمن يملك المال ولمن يبيع الرقيق الأبيض وتضيع القيم العامة وينتهي ما يربط الناس ويزداد التفكك الأسري والتشرذم الإجتماعي ويبحث كل فرد وكل طائفة عن قضية بعد أن غابت القضية العامة بعد أن انحصر الوطن من قلوب المواطنين ويسود الشك والنسبية كما ساد في المركز وتعم العدمية وتنقلب القيم ويسري الخواء في الروح فتنهار الأمة ويغير التاريخ مساره عن الشعوب المتحررة حديثاً إلي الاستعمار الجديد ليستعيد مجده القديم تحت شعارات براقه مثل النظام العالمي الجديد والعالم قرية واحدة وثورة المعلومات ، وتنتشر أساطير الثقافة العالمية والوعي الكوني والكوكبه والعولمة ، ويتوحد العالم كله تحت سيطرة المركز وتصبح ثقافته هي نموذج للثقافات ويتم تنميط كل شئ فيختفي الخاص لصالح العام الذي كان في بدايته خاصاً ثم أصبح عاماً بفعل القوة.

وبإسم المثاقفة يتم انصهار الهويات الثقافية الخاصة في الثقافة المركزية ويتم ابتلاع ثقافة الأطراف داخل ثقافة المركز وتبرز مفاهيم مثل التفاعل الثقافي ، والتداخل الحضاري ، وحوار الحضارات ، والتبادل الثقافي ، وهي مفاهيم تنتهي إلي أن ثقافة المركز (الغرب) هي الثقافة الممثلة للثقافة العالمية والتي علي كل ثقافة احتذاءها وتنتهي أسطورة التعددية التي طالما قامت عليها حضارة المركز وعبر عنها وليم جيمس في عالم متعدد لصالح عالم أحادي الطرف ، حيث ثقافة تبدع وثقافات تستهلك ، ثقافة تصدر وثقافات تنقل وبطريقة لا شعورية وتحت أثر تقليد المركز والإنبهار بثقافته يتم استعمال طرق تفكيره ومذاهبه كإطار مرجعي للحكم دون مراجعة أو نقض . (٦٧)

ومن ناحية أخري تسعي العولمة إلي توظيف العلم للاختراق الثقافي والهيمنة على الثقافات التقليدية بهدف طمس هوية الشعوب وقد تعددت آليات هذه الهيمنة كماً وكيفاً وبين ثقافة قومية وأخرى . ولا شك أن المتابع للبرامج التى تبثها الإذاعات المختلفة حتى العربية منها يلحظ بوضوح إظهار تفوق الحضارة الغربية وتغلغل قيم الرأسمالية فى المؤسسات الوطنية ذات الصلة بالثقافة . فمناهج المدارس والجامعات ومراكز البحوث كلها تشير إلى ذلك بالإضافة إلى ما تقدمه المؤسسات من منح ومواد إعلامية وبحوث تجرى عن طريق المؤسسات الرأسمالية كلها تنصب فى إطار ترسيخ تفوق الغربى إلى ما عداه من الجنسيات الأخرى. (٦٨)

نتيجة لهذا يؤكد حامد عمار إنه مع هذه العواصف العولمية تواصل السوق قوانينها وتصدير سلعها وقيمها وأخلاقياتها ، كما تواصل اجتذاب العقول المشتاقة إلى الهجرة نحو أقطار الشمال أو انتقال أستثماراتها لتشغيل تلك العقول فى مواطنها أينما وجدت بتكلفة أقل من مواطن المستثمرين الأصلية . ومن ثم ترتبط أرزاق تلك العقول بالولاء والانتماء لها ، كما تستمر فى تجاوز الحدود وتفكيك الدولة لينصرف الناس عنها إلى من يوفرون لهم فرص العمل . كذلك ترهب الدولة بالتدخل فى شئونها بشعارات حق يراد بها باطل من فرض نظم ديمقراطية وحقوق الإنسان

بينما تدعم نفوذ جماعات أو أقليات فى داخل تلك البلاد ترتبط مصالحها بمصالح الشركات العالمية.

وهى خلال ذلك كله رافضة لأى ضوابط أو اعتبارات وطنية أو اجتماعية أو أخلاقية وذلك فى حرصها على إقرار قوانين السوق والسيطرة على الموارد الإستراتيجية أينما وجدت . أضف إلى ذلك تأثير الأقمار الصناعية وبثها التليفزيونى الذي يعج به فضاؤنا من المحطات الأجنبية في محاولاتها لصياغة العقل العربي وقيم السلوك والتعامل وأنماط الاستهلاك مما ينشد تشويه مقوماتنا الحضارية وثقافتنا الوطنية إلي جانب تركيز برامجها علي تشويه صورة العرب والحضارة العربية برمتها على أنها حضارة عدوانية. (٦٩)

لقد كان من نتيجة ذلك أن لعبت التقنيات الحديثة وبخاصة فى مجال تدفق المعلومات دوراً أساسياً فى إعادة تشكيل بعض الثقافات المحلية والبدء فى بلورة ثقافة عالمية. كل ذلك على حساب الثقافات الوطنية التى أصبحت تعانى من الضعف والعجز من حماية مواقعها التقليدية ، وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى وجود ثقافتين الثقافة العالمية والثقافة المحلية بتياراتها واتجاهاتها المختلفة وفيها من يحاول كرد فعل على هجمات العولمة الكاسحة إحياء السلفية والحفاظ على التراث والخصوصية العرقية أو الدينية أو التاريخية . إن حركات وتيارات التطرف بكل اشكالها وهو ما نجده منتشراً فى أجزاء كثيرة من العالم هو نتاج لآليات الهيمنة الرأسمالية ، تلك التيارات المناقضة للعولمة تحاول إحياء السلفية تحت تبرير الخصوصية الثقافية . ولذلك يقرر البعض أن عملية العولمة وتجلياتها سوف تؤدي إلي النكوص والتشبث بالثقافة المحلية والهوية القومية. (٧٠)

ويقرر الباحث أن العصر الحديث بما يحمله من تكنولوجيا وتقنيات حديثة وغيرها من الآليات المختلفة للعولمة قد أثرت على واقع الثقافة المحلية في مجتمعنا وعلى أساليب الحياة في الأسرة به، مما أدى إلى ظهور علاقات اجتماعية جديدة وقيم سلوكية حديثة وعادات لم تكن موجودة من قبل، وأنماط استهلاكية جديدة، قد

لا تتفق مع الإطار الثقافي والقيمي للأسرة في مجتمعنا المصري، وهكذا يفرض على الأسرة المصرية إيجاد صيغ للتفكير وتمكن أفرادها من الأطفال والشباب من التعامل مع مصادر المعرفة الجديدة ووسائل الاتصال الحديثة.

وفي هذا الإطار تشير نتائج دراسة نورا عبد الرحمن أحمد بعنوان: استخدام الأطفال لشبكة الإنترنت وعلاقته بالتنشئة الاجتماعية أن ٥ر٥٩% من عينة الأطفال بالدراسة لا تتصفح مواقع الإنترنت مع الأسرة وإنما يتصفحون مواقعه في غرف منعزلة أو في أحد مقاهي الإنترنت بعيدا عن رقابة الوالدين مما قد يؤدي إلى تعرض الأطفال لمواقع تحتوي على مضمون غير أخلاقي، وأن ٧ر٦٤% من عينة الآباء بالدراسة ترى أن الإنترنت يهدد تواصل الأسرة مع أبنائها والعلاقات الأسرية ومن ثم تؤكد الباحثة أن الإنترنت كأحد آليات العولمة له آثاره السلبية في تحويل الطفل إلى شخصية انسحابيه، تميل للعزلة، ويكرس للتفكك من قد يؤثر سلبياً على عملية التنشئة الاجتماعية.(٧١)

ثالثاً:- كيفية مواجهة الثقافة المحلية للعولمة :-

يرى حامد عمار أن الخصوصية الثقافية فى أى مجتمع سوف تتأثر لا محالة نتيجة لتفاعلها وتقاطعها مع توجهات العولمة الكاسحة، بيد أن إشكالية هذا التفاعل إنما تتجسد فى أسلوب إدارته وعملياته وأمامنا طريقان: أولهما يتلخص فى الإندفاع التلقائى إلى خضم تيارات العولمة لتقذف بنا إلى حيث تشاء من الشطآن والمرافئ وثانيهما أعمال التبصير الذكى بفهم خلفياتها وعوامل إنتاجها والإدارة الواعية فى توظيفها والرؤية الواضحة لمقاصدنا فى عمليات التفاعل مع تلك المتغيرات والتيارات. ويعتمد هذا علي الوعي الجماعي بما نريد أن نصنعه لا مجرد أن نقوله أو نعلنه في حاضرنا ومستقبلنا من خلال الفهم والتوظيف والفعل ورد الفعل لوجهي عملة العولمة وما يترتب علي ذلك من تنمية وتطوير لثقافتنا المحلية وشحذ إرادتنا لأن نصنع ونزرع ونطور فكرنا وقيمنا وقدرتنا الإنتاجية وما تستلزمة من تطوير وتجديد لتنظيماتنا المجتمعية. (٧٢)

وفى هذا الصدد يقدم محمود عبد الفضيل تحليلاً لكتاب السيارة ليكساس وشجرة الزيتون للكاتب الاميركى توماس فريدمان الصادر فى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٩٩م والذى يقدم السيارة ليكساس وشجرة الزيتون رمزان جيدان لتناقضات العالم المعاصر فى عصر العولمة. فالسيارة ليكساس هى السيارة اليابانية الفاخرة وهى رمز السرعة والتقدم والرفاهية وسعى الإنسان نحو التقدم والإزدهار والتحديث فى ظل العولمة بينما شجرة الزيتون ترمز إلى الجذور والأصالة والانتماء والتمسك بالأرض والعادات والتقاليد فهي تمثل دفء العائلة وبهجة التفرد والاعتزاز بالنفس والأمان. وهنا يكمن السؤال المركزى فى كيف يمكن تحقيق التوافق بين الإحساس بالوطن والانتماء من ناحية وبين السعى نحو الرقى والتقدم والازدهار والتحديث في ظل العولمة من ناحية أخرى .

ويحاول فريدمان إقامة تبريد مصطنع بين السعى للرقى والتقدم والازدهار من ناحية وتذويب الهوية والإنتماء فى إطار مدارات العولمة من ناحية أخرى ، فالانخراط في مسارات العولمة والسوق العالمية بأى ثمن هو الطريق الوحيد للتقدم والازدهار بينما الاحتفاظ بالهوية والاحتفاظ ببعض الأسوار الحمائية هو طريق التخلف والاندثار . وهو لا يرى أن إقامة التوازن الصحى بين الإثنين قضية ممكنة وضرورية . (٧٣)

بينما يرى محمود عبد الفضيل أنه إذا نظرنا إلى حالة كل من الصين وماليزيا والهند نجد ان حل المعادلة كان على النحو التالى : أن أتشبث بهوية شجرة الزيتون الفريدة لبلادى وإن أدى ذلك إلى انخفاض كفاءتي الاقتصادية قليلاً . إذ ليس هناك حتمية في أن قوى السوق + قوى رأس المال + التكنولوجيا الحديثة (قوى العولمة) سوف تجتاح فى طريقها كل شجرة زيتون وتسحقها على نحو ما يوحى به كتاب فريدمان ليبث الرعب فى القلوب . (٧٤)

ومن ثم يجب أن تصبح ثقافتنا المحلية غير منحصرة فى معطياتها التاريخية لكنها تتمثل وتعاش كياناً حياً ، ينمو ويتطور عن طريق ما نصنعه وننجزه

من فعل فى الداخل متأثرة ومؤثرة فى مواجهة محيطنا الخارجي العالمى . فالهوية الثقافية تنمو وتتطور وتتعدل مع المعايشة عبر الزمان والمكان متجسدة فيما نحققه خلال مسيرتها الحياتية حين نصنع الطريق المستهدف للسير فيه .

فالهوية الثقافية لا يمكن اعتبارها من المعطيات الثابتة التى تتوقف عند مفاهيم الماضى وأعراقه وموضوعاته وحلوله ، وكثيراً ما نتوهم أننا نتحرك مع العالم فى حين ان حركتنا لا تعدو محلك سر مشدودين إلى زعم الحفاظ على الهوية والخصوصية الثقافية ، وإذا تحركنا تظل وجوهنا وأعيننا لا ترى إلا ما كانت تراه وكثيراً ما نحاول أن نخطو إلى الأمام لكن وجوهنا وعيوننا تظل متجهة إلى الوراء . فمفهوم الهوية الثقافية مرتبط بالنمو والتميز ويغدو المطلوب هو تنمية الثقافة المحلية لا مجرد الحفاظ عليها وتطويرها وإثرائها لا جمودها وإفقارها، تجديدها لا مجرد تمجيدها ، وتشجيع إبداعاتها المطردة لا القناعة بأجترار راهنها وإعادة انتاج علاقاتها وموضوعاتها الماضية . (٧٥)

وإذا كانت مؤسسات العولمة تركز على التبشير بثقافة التنميط وبعملية التسليع للحياة مقام قيم المعنى وعلاقة الإنسان بالإنسان ويعنى هذا بصورة اخرى التركيز على مفهوم الأشياء وتشئي الوجود الإنساني مقام القيم والوجدان والمشاعر وما يرتبط بذلك المفهوم من إمتلاك الثروة والربح مقام الثقافة والوعي وتحقيق الذات والثقة بالنفس، وفى ذلك يتمثل هدف ثقافة العولمة فى تكوين النموذج العالمى للشخصية منفصلاً عن جذوره ومشاركته في هموم وطنه وفى تنمية موارده تنمية ذاتية في المقام الأول (٧٦)

إلا ان الدفاع عن الثقافة المحلية ضد مخاطر ثقافة العولمة لا يأتى عن طريق الانغلاق على الذات ورفض الغير ، فهذا تصحيح خطأ بخطأ ومجموع الخطأين لا يكون صواباً ، وإنما يأتي ذلك عن طريق إعادة بناء الموروث القديم المكون الرئيسى للثقافة الوطنية بحيث تزال معوقاته وتستنفر عوامل تقدمه . وتتم إعادة بناء الموروث القديم بتجديد لغته من اللغة القطعية والألفاظ التشريعية إلى

اللغة المفتوحة والألفاظ الطبيعية وتغيير مستويات تحليليه من المستوى الإلهى الغيبى إلى المستوى الإنسانى الحسي التحرري.

فالتراث القديم وهو الرافد الرئيسى فى الثقافة الوطنية نشأ فى عصر مضى وفى مرحلة تاريخية وُلت منذ أكثر من ألف عام ولم يعد معبراً عن مطالب العصر وإن كان قد عبر عن مطالب عصر مضى . لقد تغير العصر كله من النصر إلى الهزيمة ، ومن الأبداع إلى النقل ، ومن الاجتهاد إلى التقليد، ومن العقل إلى النقل ، ومن الحرية إلى القدرية . وهذا يحتم إبداع ثقافة جديدة تعبر عن ظروف العصر من احتلال وقهر وتخلف وتغريب ولا مبالاة. إن البداية على الأقل تكون بإعادة الاختيار بين البدائل واختيار الأصلح لنا الذى ربما لم يكن أصلح للقدماء. وعلى هذا النحو يمكن تجديد الثقافة المحلية الوطنية ليس بالأنغلاق والتقليد والإنكفاء على التراث واستبعاد الآخر والخوف من العصر ، وإنما بالبدء بتطوير الآناقبل الأنسياق للآخر وبالموروث قبل الوافد . (٧٧)

ويقدم محمود عبد الفضيل تحليلاً لدور الثقافة الوطنية فى صنع التقدم ومواجهة تيارات العولمة حيث يشير إلى أن البلدان العربية عندما تدخل ملعب العولمة فإنها سوف تلعب خلف المرمى وليس أمامه . أما الآخرون فإنهم يلعبون فى وسط الملعب بل هناك من يتقدمون إلى الامام. وليس هناك من شك فى أن بلدان آسيا الناهضة تلعب فى وسط الملعب بالرغم من الأزمة التى مرت بها لأنها قامت بعمليات تدريب وتجهيز استمرت لمدة ثلاثين عاماً كى يمكنها أن تلاعب السبعة الكبار من الدول المتقدمة، ولذا فإن قليلاً من العولمة قد يصلح المعدة وكثيراً من العولمة قد يفسد كل شئ .(٧٨)

ومن ثم يجب أن تواجه ثقافتنا المحلية ثقافة العولمة النمطية بكسر حدة الانبهار بالغرب ومقاومة قوة جذبة وذلك برده إلى حدوده الطبيعية والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية. فكل ثقافة مهما إدعت أنها عالمية تحت تأثير أجهزة الاعلام فإنها نشأت فى بيئة محددة وفى عصر تاريخى معين ثم انتشرت خارج

حدودها بفعل الهيمنة وبفضل وسائل الاتصال. إن الثقافة المحلية يجب أن تتحرر من عقدة الخوف وتنشئ لها مشروعها المعرفي المستقل ويكون لها طموحها العلمي وتقضى على عقدة الرهبة من الآخر. وتبين حدود مشروعه المعرفي وطموحه العلمي وتحوله إلى شيء اليوم كما حولها هو إلى شئ بالأمس. (٧٩)

وإذا كان الغرب هو صانع العولمة وآلياتها وتوجهاتها فإن مساعيه حتى الآن لا تعدو ان تكون سوي فرض الهيمنة والاستغلال وفتح الأسواق لمنتجاته وضمان مصالحه ويحول دون انهيارها اكتساب القوة للهيمنة على مقدرات الدول النامية من خلال ما يمتلكة من ثقافة التسلط بالعلم وغسل الادمغة بأقماره الصناعية ورسائل مجطات البث الفضائي.

لذا يصبح من الأهمية إدراك وفهم مضامين وآليات ثقافة التنميط التي افرزتها ووظفتها العولمة وما انتجته من علوم وتقنيات ومنجزات غير مسبوقة في الحقب السابقة تعتمد على المعرفة كقوة. و من ثم لم يعد دخولنا و اقتحامنا لعصرالمعلومات و مجتمع المعرفة مجرد خيار بل غدا ضرورة ملحة ، إذ أن المفارقة جلية بين أن نتهيأ لدخوله و أن نتركه يدخل علينا من خارجنا ، مكتفين بالانبهار بإمكاناته واستهلاك منتجاته و ما يمكن ان تحدثه من آثار سلبية لكن علينا أن نسعى إلى التعامل الإيجابي الواعي ، فهما و استيعابا و توظيفاً لإمكانات الثورة المعرفية من أجل التحول نحو مجتمع معرفى ، يتحرك من مجرد الاستهلاك الطاغى لنتائج تلك الثورة كما نستهلك المعلبات والإليكترونيات انتقالاً إلى الإفادة الخصبة منها ثم انطلاقا الى انتاج المعرفه ذاتها .

وبذلك نحقق الملاءمة المطلوبة مع المعلوماتية لإرساء مقومات التنمية الذاتيةو شروطها الموضوعية الوطنية مستفيدين من مناهج ثورة المعرفة وآلياتها. (٨٠)

ومن ثم يجب ان تستوعب ثقافتنا المحلية ثورة المعرفة و أبعادها و تداعياتها لأن التنمية و زيادة الإنتاجوالإنتاجية اصبحت تعتمد على قيمة المعرفة أكثر من اعتمادها على عوامل الانتاج المادية كالأرض ورأس المال ووفرة

الثروات الطبيعية و حتى وفرة القوة العاملة ، كما أن قيمتها المضافة تمثل أضعافاً مضاعفة لعوائد غيرها من عوامل الإنتاج الأخرى ، لهذا يجب أن تتبنى الثقافة المحلية ذلك الرصيد الهائل من نتاج الثورة المعلوماتية والذى مصدره المعرفة المعتمدة على العلم و تطبيقاته التكنولوجية و هذا يتطلب قدرات بشرية ضرورية فى الفرز والإدراك والنقد والانتقاء و التميز و المرونة و التحسب ووضوح الهدف فى التعامل مع المعلومات من أجل توظيفها في عمليات التطوير والتغيير و البناء وفى ختام هذا العرض يؤكد الباحث على الضرورة الملحة لمجتمعنا فى اقتحام نتاج المعرفة و الإلمام بإمكانيات توظيفها فى تطوير أوضاعنا الحياتية والمؤسسية ، وتتم تلك الإفادة من منظور خياراتنا المجتمعية التى نريدها نحن لا أن ندع الغير يحتكر ذلك الرصيد المعرفى ليوظفه كما يريد بنا و خاصة و نحن أمام تيار متدفق من المعلومات ليس لتراكم رصيده نهاية وأصبحت العلاقة التفاعلية بين مطالب كل من التعليم و التنمية فى مجتمعنا تفرض علينا توظيف موارد المعلوماتية وآلياتها و خصائصها من أجل التطوير و التجديد لكل منهما و ذلك لتجاوز تخلف الواقع المجتمعى و إعادة تجديد البناء الثقافى و قيمه و مؤسساته وأن يصبح العلم فى مجتمعنا منهج حياة و منظومة اساسية فى ثقافتنا المحلية.

نتائج الدراسة

- توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية للإجابة على التساؤلات التي تم طرحها في البحث لتحقيق أهداف الدراسة على النحو التالي: -

- التساؤل الأول: -هل النظام العالمي الذي تقدمه مؤسسات العولمة جديد أم هو شكل آخر من تراكم إفرازات الرأسمالية الغربية في التسلط علي العالم النامي والهيمنة عليه وفرض أنماط من ثقافته؟

- أبانت الدراسة أن النظام العالمي الذي تقدمه مؤسسات العولمة ليس جديداً ولا يختلف كثيراً عن القديم في مقاصد السيطرة على الدول النامية ويحمل في توجهاته مخاطر الهيمنه والإستغلال وفتح الأسواق لمنتجاته وضمان مصالحه. وهو بذلك يتجاوز أشكال الاستعمار القديم عن طريق الاحتلال العسكري من خلال التبعية الاقتصادية للدول الغربية ذات الإقتصاد الحر التي تسعي إلي إستغلال خامات الدول النامية والعمالة الرخيصة بها وأسواقها المستهلكة، مما يسهم في تحقيق التقدم في أرجاء الغرب. ويصاحب ذلك تغلغل هيمنته في جوهر ثقافات الدول النامية ليدخل ثقافته وينفذ إلي عقول مواطنيها وتفضيلاتهم الحياتية موظفاً انفتاح أسواقها لمنتجات الغرب الحضارية دون قيد وليبث رسائلة الإعلامية والإعلانية وقيمه ورموزه وتأكيد الاستعلاء المطلق لأساليب حياته باعتبارها أسمي ما وصل اليه التطور التاريخي من نهايه علي حد تعبير فوكوياما.

توصلت الدراسة إلى أن النظام العالمي في صورتة الجديدة هو نظام رأسمالي قديم تنامي وأمتد طغيانه خارج دائرته المركزية وهو في جوهره مفعم بروح ومسالك النظام السياسي الاقتصادي الرأسمالي القديم للدول الصناعية وأن هذا الجديد ليس جديداً تماماً ولا يزال محكوماً بتاريخة وبسوابقة في التفاعل بين عالمي الشمال والجنوب وهو يتشابه إلي حد كبير مع شكله القديم وأنه تخفي في أزياء جديدة أو وضع نبيذه القديم في قنان جديدة.

- يدعى الغرب التبشير بعالم جديد ويدعى أقطابه كذباً بالعيش المشترك وحقوق الانسان وبالعدل الإجتماعى والتلاقح الخصب بين الحضارات وتأسيس ثقافة تنشر التنوع الإنسانى المبدع وهذه هى الصورة المخادعة التى يقدمها اقطاب العولمة لخداع شعوب الدول النامية والمتخلفة ، وكأن العولمة وآلياتها هى الفردوس المفقود الذى يجب أن يبحثون عنه ، إلا ان جملة الشواهد الشاخصة والمعطيات الجارية تدعو إلى القلق والتوتر لأنها تعزز حقيقة مؤكدة وهى أن التاريخ يعيد نفسه ، وأن ما تجرى به من مياهه مداً وجزراً إنما هو صورة مخادعة وإن اختلفت معالمها وأساليبها حيث تواصل السعى إلى سيطرة القوى على الضعيف بين الدول والحضارات خاصة ونحن فى خضم تيارات جديدة من محاولات السيطرة الغربية أدواتها العلم والتقنيات الحيثة وشبكات المعلومات والاتصالات واحتكار المعرفة وقنوات ووسائل الإعلام الفضائية التي ترسخ منطق وقيمة الاستهلاك لمنتجاتها بين الشعوب النامية.

- أبانت الدراسة أن بزوغ العولمة كالشأن فى أية ظاهرة محلية أو عالمية لا تنزل على أرض البشر فجأة ودون مقدمات وإنما هى تيارات وتوجهات تتشكل عبر تطور تاريخى تتراكم معطياته وتتفاعل أحداثه لتخلق منها وليداً يبدو جديداً أو هجيناً ويحمل فى سماته ومسيرته كثيراً من ملامح سلالات أسلافه وخصائصهم ويفعل كما يفعل فيروس الأنفلوانزا حين يعيد تشكيل سلالاته من جيل إلى جيل ليحتفظ بقدرته على انتهاك حرمة الأبدان. وتتمثل قيادة هذا الوليد فى الولايات المتحة الأمريكية كقطبه الوحيد فى هذه اللحظة التاريخية بعد انهيار قطبه الثانى الذى كان يحتله الأتحاد السوفيتى فى مواجهة القطب الاول ومناهضته قبل أن ينهار كيانه من أساسه.

- إن الملمح الوحيد الجديد فى هذا النظام العالمى هو ظاهرة الكونية فى امتدادها إلى كل مساحات كوكب الأرض وفضائه ، ومع ذلك تظل إدارة هذا النظام ومقاصده وقواعد لعبته الدولية لم يطرأ عليها تغيير يذكر سوى ما أقتضاه التكيف مع مختلف

السياقات والأوضاع فى العالم الثالث مثل انطباق أحكام القانون الدولى وضوابط السوق وسيادة الاقتصاد الحر وتمتع الأقوياء بأسلحة القوة وشرعية التسلط والتدخل فى شئون الدول النامية والمتخلفة .

- التساؤل الثاني: -هل تؤدى العولمة إلى تهميش الثقافة المحلية وتهديد منظومة القيم المجتمعية الأصيلة فيها؟

-أبانت الدراسة أن عملية العولمة تهدف أساساً إلى تعميم نمط الثقافة الامريكية والقيم الغربية على الدول الأخرى وعلى الأخص دول العالم الثالث، وتغليف الثقافة المحلية فيها بطابع شمولى جامع وهو طابع الثقافة الكونية، وقد كان من نتيجة ذلك أن لعبت التقنيات الحديثة وبخاصة فى مجال تدفق المعلومات دوراً أساسياً فى إعادة تشكيل بعض الثقافات المحلية ونشر الثقافة الغربية. كل ذلك كان على حساب الثقافات الوطنية التى أصبحت تعاني من الضعف والعجز فى حماية مواقعها التقليدية.

- يُشيع نظام العولمة وتجلياته قيماً سوقية لا تعبأ كثيراً بقضايا الوطن والمواطن ، بل إنها تسعى بطريق مباشروغير مباشرإلى اقتلاع الفرد من جذوره وخلخلة التماسك الاجتماعي والثقافة المحلية ، وقد يسعى أحياناً إلى إثارة النعرات الطائفية و العرقية ، بالإضافة إلى تأثير الأقمار الصناعية وبثها التليفزيونى الذى يعج به فضاؤنا من المحطات الأجنبية فى محاولاتها لإعادة صياغة العقل العربى وقيم السلوك والتعامل بهدف تشويه مقومات ثقافتنا الوطنية إلى جانب تركيز برامجها على تشويه صورة العرب والحضارة العربية برمتها كحضارة عدوانية .

- تركز العولمة على التبشير بثقافة التنميط وبعملية التسليع للحياة والتركيز على مفهوم الأشياء وتشيئ الوجود الإنسانى وما يرتبط بذلك المفهوم من امتلاك الثروة والربح مقام القيم و الثقافة والوعى والإنتماء الوطنى وتحقيق الذات، وفى ذلك يتمثل هدف ثقافة العولمة فى تكوين النموذج العالمى الذي يجعل ثقافة مجتمعنا المحلي

منفصلة عن جذورها ومشاركتها فى هموم وطنها وفى تنمية موارده تنمية ذاته فى المقام الأول .

-ساعدت العولمة التى على تغريب الثقافات الوطنية من خلال آليات أصبحت أكثر قوة مثل وسائل الإعلام والتقنية الحديثة واحتكارها المعرفة ، وكان لصناعة الثقافة دور مهم فى هذا الإطار حيث تم توجيه نمط الثقافة نحو إعادة إنتاج وتقوية منطق الاستهلاك لدى الشعوب . ومن يستعرض مثلاً الأسواق العربية سوف يشهد بأن التوكيلات التجارية الاجنبية المسيطرة على هذه الأسواق تستأثر بالنصيب الأعظم من جملة العمليات التجارية القائمة فيها.

-تعد العولمة أحد التحديات التى تقف أمام ثقافات المجتمعات التقليدية لأنها تحطم قدرات الإنسان فيها وتجعله إنساناً مستهلكاً غير منتج، ينتظر ما يجود به الغرب ومراكز العلم من سلع جاهزة الصنع، بل تجعله يتباهى بما لا ينتجه، فهو القادر على استهلاك ما لا يصنعه مما يشكل لديه قيم التواكل والتطلع إلى اقتناء السلع الاستهلاكية التي تتغير يومياً لا فى سبيل التطوير فقط بل فى سبيل زيادة وحدة الاستهلاك على المستوى العالمى .

- أبانت الدراسة انه فى ظل العولمة تحولت الثقافة الاستهلاكية إلى آلية فاعلة لتشويه البنى والثقافات المحلية وتغريب الإنسان وعزله عن قضاياه ، وإدخال الضعف لديه ، والتشكيك فى جميع قناعاته الوطنية والقومية والأيدلوجية ، بهدف إخضاعه نهائياً للقوى والنخب المسيطرة على القرية الكونية ، وإضعاف روح النقد والمقاومة عنده ، وحتى يستسلم نهائياً إلى واقع الإحباط فيقبل بالخضوع لهذه القوى أو التصالح معها .

-تسعى العولمة إلى توظيف العلم للاختراق الثقافي والهيمنة على الثقافات المحلية بهدف طمس هوية الشعوب ، وقد تعددت آليات هذه الهيمنة كماً وكيفاً وبين ثقافة قومية وأخرى ، ولا شك أن المتابع للرامج التى تبثها الإذاعات المختلفة حتى العربية منها يلحظ بوضوح إظهار تفوق الحضارة الغربية وتغلغل قيم الرأسمالية

فى المؤسسات الوطنية ذات الصلة بالثقافة ، فمناهج المدارس والجامعات ومراكز البحوث كلها تشير إلى ذلك بالإضافة إلى ما تقدمه المؤسسات العالمية من منح ومواد إعلامية وبحوث تجرى عن طريقها كلها تنصب فى إطار ترسيخ تفوق الغربى إلى ما عداه من الجنسيات الأخرى .

التساؤل الثالث: -كيف يمكن أن تواجه الثقافة المحلية ثقافة العولمة وتحدياتها ؟

-كشفت الدراسة أن ثقافتنا المحلية يجب أن تواجه ثقافة العولمة بكسر حدة الانبهار بالغرب ومقاومة قوة جذبه والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية، وأن تتحرر من عقدة الخوف من الغرب ، وأن تنشئ لها مشروعها المعرفى المستقل ويكون لها طموحها العلمى ، وأن تقضى على عقدة الرهبة من الآخر بالتفاعل معه فى حدود إثرائها وتطوير مقوماته لتستوعب متغيرات العصر وآلياته بكفاءة وبما لا يتعارض مع خصوصيتها الحضارية .

-توصلت الدراسة أن الدفاع عن الثقافة المحلية ضد مخاطر ثقافة العولمة لا يتأتى عن طريق الانغلاق على الذات ورفض الغير وإنما يتأتى ذلك عن طريق إعادة بناء الموروث الثقافى القديم المكون الرئيسى للثقافة الوطنية بحيث تزال معوقاته وتستنفر عوامل تقدمه. وتتم إعادة بناء الموروث الثقافى القديم بتجديد لغته من اللغة القطعية والألفاظ التشريعية إلى اللغة المفتوحة والألفاظ الطبيعية وتغيير مستويات تحليله من المستوى الإلهى الغيبى إلى المستوى الإنساني الحسي والعلمي. وعلى هذا يمكن تجديد الثقافة المحلية ليس بالإنغلاق والتقليد والانكفاء على التراث واستبعاد الآخر والخوف من العصر وإنما بالبدء بتطوير الأنا قبل الانسياق للآخر وبالموروث قبل الوافد.

-أوضحت الدراسة أن الثقافة المحلية لا يمكن اعتبارها من المعطيات الثابتة التى تتوقف عند مفاهيم الماضى وأعراقه وموضوعاته وحلوله ، فمفهوم الثقافة مرتبط بالنمو والتميز . ومن ثم يجب تنمية الثقافة المحلية لا مجرد الحفاظ عليها ، تطويرها

وإثرائها لا جمودها وإفقارها ، تجديدها لا مجرد تمجيدها ، تشجيع أبداعاتها المطردة لا القناعة باجترار رهانها ، إعادة إنتاج علاقاتها ومواصفاتها غير منحصرة فى معطياتها التاريخية بل يجب أن تتمثل وتعاش كياناً حياً ، ينمو ويتطور عن طريق ما نصنعه وننجزه من فعل فى الداخل ، متأثرة ومؤثرة فى محيطنا الخارجى العالمى .

-أبانت الدراسة أن دخول عصر تكنولوجيا المعلومات ومجتمع المعرفة ليس خياراً ، بل غدا ضرورة ملحة لمواجهة تحديات العولمة وذلك من خلال التعامل الإيجابى الواعى ، فهماً واستيعاباً وتوظيفاً لإمكانات الثورة المعرفية من أجل التحول نحو مجتمع معرفى يتحرك من مجرد الاستهلاك الطاغي لنتائج تلك الثورة أنتقالاً إلى الإفادة الخصبة منها ، ثم أنطلاقاً إلى إنتاج المعرفة ذاتها للأستفادة من مناهجها وتقنياتها لإرساء مقومات التنمية المستدامة وتطوير حياتنا ومؤسساتنا المجتمعية .

-أوضحت الدراسة أن تفاعل ثقافتنا المحلية مع متغيرات العولمة يعتمد على الوعى الاجتماعي بما نريد أن نصنعه من خلال الفهم والتوظيف لقدراتنا وإمكانياتنا لتنمية وتطوير مفردات ثقافتنا ، وشحذ إرادتنا لكي نصنع ونزرع ونطور فكرنا وقيمنا وقدراتنا الإنتاجية ، وما تستلزمه من تطوير وتجديد لتنظيماتنا الاجتماعية لمسايرة التطور العلمى والثقافى لاستيعاب متغيرات العصر .

توصيات الدراسة

- توصى الدراسة بضرورة حماية الثقافة المحلية من مخاطر العولمة وآلياتها ومقاومة كل المساعى الرامية إلى تسليع الثقافة وأمركتها وهذا لا يتأتى عن طريق الانغلاق على الذات ورفض الغير والانكفاء على التراث والخوف من العصر ، وإنما يتأتى عن طريق تطوير الأنا قبل الأنسياق للآخر وتطوير الموروث قبل الوافد ووضع إطار يمكن أن تلتقى فيه تيارات ثقافية وطنية متعددة يجمعها الرغبة فى الحفاظ على الروح النقدية فى الفكر والسعى الجاد للنهوض بالأبداع الثقافى وتوجيه أقصى الطاقات للبحث العلمى وذلك أنطلاقاً من إدراك الحقيقة التي تشير إلى أنه ليس هناك ثقافة ما تملك حق تنصيب نفسها كمرجعية ثقافية كونية وحيدة .

- توصى الدراسة أن يكون لثقافتنا المحلية ومؤسساتها مشروعها المعرفى المستقل حيث غدا دخول عصر مجتمع المعرفة وتكنولوجيا المعلومات ضرورة ملحة ، وذلك من خلال توظيف إمكانات الثورة المعرفية من أجل التحول نحو مجتمع معرفى يتحرك من مجرد الاستهلاك الطاغي لنتائج تلك الثورة انتقالاً إلى الإفادة الخصبة منها ثم أنطلاقاً إلى إنتاج المعرفة ذاتها للاستفادة منها في تطوير حياتنا ومؤسساتنا الاجتماعية والثقافية .

- بالرغم من ضرورة التنوع الثقافى والتفاعل والحوار المستمر بين الثقافات فإن الدراسة توصى على ضرورة احتفاظ الثقافة المحلية بمنظومتها القيمية الأصيلة إزاء النظام العولمى الجديد ، ومحافظتها على رموزها الثقافية أمام زحف الثقافة الكوكبية ومنتجاتها الاستهلاكية وتقنياتها الحديثة ، والتعايش معها دون الدخول فى صراع أيديولوجى ، تقتبس منها ما يفيدها ويعمل على تطويرها وإعادة تشكيلها لتتكيف مع الحاضر ، وتستخدم أدوات العصر بكفاءة بما يجعلها قادرة على الإشعاع على الثقافات الأخرى والتفاعل معها بما لا يتعارض مع خصوصيتها القومية .

- توصي الدراسة بضرورة تفعيل الدور التربوي لمؤسسات التنشئة الاجتماعية وخاصة الأسرة لحماية الأجيال الجديدة من مخاطر استخدام آليات العولمة وأدواتها وأهمها شبكة الإنترنت التي يمكن أن يساء استخدامها من قبل الشباب من خلال الدخول على المواقع الإباحية، ويتم ذلك بتفعيل تواصل الأسرة مع أبنائها ومتابعة استخدامهم للوسائل التكنولوجية الحديثة حتى يمكن المحافظة على المنظومة القيمية والهوية الثقافية لمجتمعنا.

المـــراجـــع

١-عبد الخالق عبد الله، العولمة: جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثانى، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ١٩٩٩، ص ص٤٣ - ٤٢.

٢-حامد عمار ، الاصلاح المجتمعى ، إضاءات ثقافية واقتضاءات تربوية، مكتبة الأسرة ، سلسلة العلوم الإجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٨، ص ٣٦ .

٣- المرجع السابق، ص ص ٧٧. – ٧٦

٤-السيد يسين، الحوار الحضارى فى عصر العولمة، سلسلة الفكر، مكتبة الأسرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥, ص ٢٣٣

٥-حيدر إبراهيم، العولمة وجدل الهوية الثقافية، مجلة عالم الفكر، مرجع سابق، ص ص ١٠٤. ,١٠٢

٦-محمود عبد الفضيل، مصر والعالم على اعتاب الفية جديدة، مكتبة الأسرة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١ص ١١٩.

٧-أحمد مجدى حجازى، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، رؤية نقدية من العالم الثالث، مجلة عالم الفكر، مرجع سابق، ص١٢٧.

٨-السيد يسين، مرجع سابق، ص ص ٢٤٤ – ٢٤٠ .

٩- حسنين توفيق إبراهيم، العولمة: الابعاد والأنعكاسات السياسية، مجلة عالم الفكر، مرجع سابق، ص١٨٧.

١٠-Malcolm Water, Globalization, Routledge London, ١٩٩٥, p. ٨.

١١-عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق، ص .٥٥

١٢- حامد عمار، مرجع سابق، ص ٢٥.

١٣-معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربى، سلسلة عالم المعرفة، العدد رقم ١١٥، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو ١٩٨٧، ص ٤٣.

١٤-مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، ترجمة على سيد الصاوي، مراجعة الفاروق ذكى يونس، سلسلة عالم المعرفة، العدد رقم ٢٢٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو ١٩٩٧، ص ١٠.

١٥-حيدر إبراهيم، مرجع سابق، ص ٩٨.

١٦- راسل جاكوبى ، نهاية اليوتوبيا ، السياسة والثقافة فى زمن اللامبالاة ، ترجمة فاروق عبد القادر ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد رقم ٢٦٩ ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مايو ٢٠٠١ ، ص ص ٥٤ – ٥٣ .

١٧- المرجع السابق، ص ٧٣.

١٨- Weber. M, the Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism, Tran's .by Parsons. T, London, George Allen, ١٩٥٦, PP: ٢٩ – ٣١.

١٩- Ibid, pp: ٣٣ – ٣٥.

٢٠- Ibid, pp: ٣٧ – ٣٩.

٢١- Mcclelland .D, The Achieving Society, First Edition, Van No strand company inc, U.S.A, ١٩٦٧.

٢٢- Weber .M, The Theory of Social and economic organization, (Eds) by Parsons. T, Henderson. M, Glencoe, the Fiee press, ١٩٤٧, pp: ٣٢٥ – ٣٢٨.

٢٣- Parsons .T, the social system, the free press, N. y, ١٩٥١, pp: ٤٢ – ٤٥.

٢٤- Ibid, pp: ١٥ – ١٧.

٢٥- Ibid, p. ٣٢.

٢٦- Parsons .T, Shills. A, toward a general theory of Action, Cambridge, Harvard university press, ١٩٥١, pp: ١٤١ – ١٤٤.

٢٧-جى روشيه ، علم الإجتماع الأمريكى ، دراسة أعمال تالكوت بارسونز ، ترجمة وتعليق محمد الجوهرى ، أحمد زايد ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ٧٤ .

٢٨- المرجع السابق، ص ص ٢٤٥- ٢٤٤.

٢٩- Parsons .T, Shills. A, toward a general theory of Action, op – cit, pp: ٦٣ – ٦٤.

٣٠- Ibid, pp: ٦٤ – ٦٥

٣١-مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، مرجع سابق ص ص ١٢ - ١١.

٣٢- المرجع السابق، ص ص .١٥ – ١٢

٣٣- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمى، ترجمة طلعت الشايب، دار كتاب سطور، القاهرة، ١٩٩٨.

٣٤-السيد الحسينى، التنمية والتخلف، دراسة تاريخية بنائية، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٢ ص ص – ٥٦

٣٥- المرجع السابق، ص ص ٥٨ - ٥٧.

٣٦- عبد الخالق عبدالله، مرجع سابق ص ص ٧٦- ٧٧.

٣٧-ميتشيوكاكو، رؤى مستقبلية ، (كيف سيغير العلم حياتنا فى القرن الواحد والعشرين) ، ترجمة سعد الدين خرفان ، سلسلة عالم المعرفة العدد رقم ٢٧٠ ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، يوليو ٢٠٠١ ، ص ص – ٣١ ٣٢.

٣٨-نبيل على، العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة، العدد رقم ١٨٤، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤.

٣٩-عبد الخالق عبدالله، مرجع سابق، ص ص .٧٦ – ٧٥

٤٠-المرجع سابق، ص ص ٧٨ – ٧٧.

٤١-جيران فى عالم واحد، تقرير لجنة إدارة شئون المجتمع العالمى، سلسلة عالم المعرفة، عدد رقم ٢٠١، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر ١٩٩٥.

٤٢-حيدر إبراهيم، مرجع سابق، ص ١٠٢.

٤٣-فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٩٣.

٤٤- Friedman Jonathan, cultural identity and Global process, Gage publications, London, ١٩٩٤.

٤٥-حسن حنفى، الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية، مؤتمر العولمة والهوية الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة، أبريل ١٩٩٨، ص ص.٤٥٩ – ٤٥٧

٤٦-أنور عبد الملك، تغير العالم، سلسلة عالم المعرفة، العدد رقم ٩٥، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب الكويت، نوفمبر ١٩٨٥.

٤٧-أحمد مجدى حجازى، مرجع سابق، ص ١٣٧.

٤٨- المرجع السابق، ص ١٣٩.

٤٩-محمود عبد الفضيل، مرجع سابق، ص ص١١٨ – ١١٧.

٥٠- بول هيرست ، جراهام طومبسون ، ما العولمة (الاقتصاد العالمى وإمكانات التحكم) ، ترجمة فالح عبد الجبار ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد رقم

٢٧٣، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سبتمبر ٢٠٠١ ص ص ١٠ – ٩ .

٥١-حسن حنفى، مرجع سابق، ص ٤٥٩.

٥٢- فرانسيس فوكوياما، مرجع سابق.

٥٣-حسن حنفى، مرجع سابق، ص ص ٤٦٠ – ٤٥٩.

٥٤-صموئيل هنتنجتون، مرجع سابق.

٥٥-حامد عمار، مرجع سابق، ص ٧٥.

٥٦-أحمد مجدى حجازي، مرجع سابق، ص ١٣٢.

٥٧-نبيل على، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، سلسلة عالم المعرفة، العدد رقم ٢٧٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ٢٠٠١، ص ٣٨

٥٨-حسن حنفي، مرجع سابق، ص ص.٤٦١ – ٤٦٠

٥٩-محمود عبد الفضيل، مرجع سابق، ص ص .١٢١ – ١٢٠

٦٠- المرجع السابق، ص ١٢٢.

٦١-جلال أمين، ماذا حدث للمصريين (تطور المجتمع المصرى فى نصف قرن ١٩٩٥ – ١٩٤٥) مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩، ص ص٢٩٧ – ٢٨٧.

٦٢-حامد عمار، مرجع سابق، ص ٨٤.

٦٣-عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق، ص ص .٨٠ – ٧٩

٦٤-أحمد مجدي حجازي، مرجع سابق، ص ١٣٥.

٦٥- المرجع السابق، ص ص ١٣٥ – ١٣٣.

٦٦ – ناهد مصطفى علوان، نسق القيم في الأسرة المصرية في ظل العولمة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، رسالة ماجستير، غير منشورة، ٢٠١١، ص ٧٢.

٦٧ -حسن حنفي، مرجع سابق، ص ص ٤٦٣ – ٤٦٢.

٦٨-أحمد مجدي حجازي، مرجع سابق، ص ١٣٦.

٦٩-حامد عمار، مرجع سابق، ص ص ٧٨ – ٧٧.

٧٠-أسامة أمين الخولى، العرب والعولمة، مجموعة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ديسمبر ١٩٩٨، ص ص – ٨ ١٣.

٧١- نورا عبد الرحمن أحمد، استخدام الأطفال لشبكة الإنترنت وعلاقته بالتنشئة الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، رسالة ماجستير، غير منشورة، ٢٠١٠، ص ص ١٩٦ – ١٩٧.

٧٢-حامد عمار، مواجهة العولمة فى التعليم والثقافة، مكتبة الأسرة، سلسلة الفكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٤٠.

٧٣-محمود عبد الفضيل، مرجع سابق، ص ١٢٠.

٧٤- المرجع السابق.

٧٥-حامد عمار، مواجهة العولمة فى التعليم والثقافة، مرجع سابق، ص ٤٠.

٧٦- المرجع السابق، ص ٤١.

٧٧-حسن حنفي، مرجع سابق، ص ص ٤٦٦ – ٤٦٥.

٧٨-محمود عبد الفضيل، مرجع سابق، ص ١١٨.

٧٩-حسن حنفي، مرجع سابق، ص ٤٦٦.

٨٠-حامد عمار، مواجهة العولمة فى التعليم والثقافة، مرجع سابق، ص ٣٧.